ناتالي

روايات وقصص عاطفية

الغريب الغامض

WWW.REWITY.COM

مرمورية

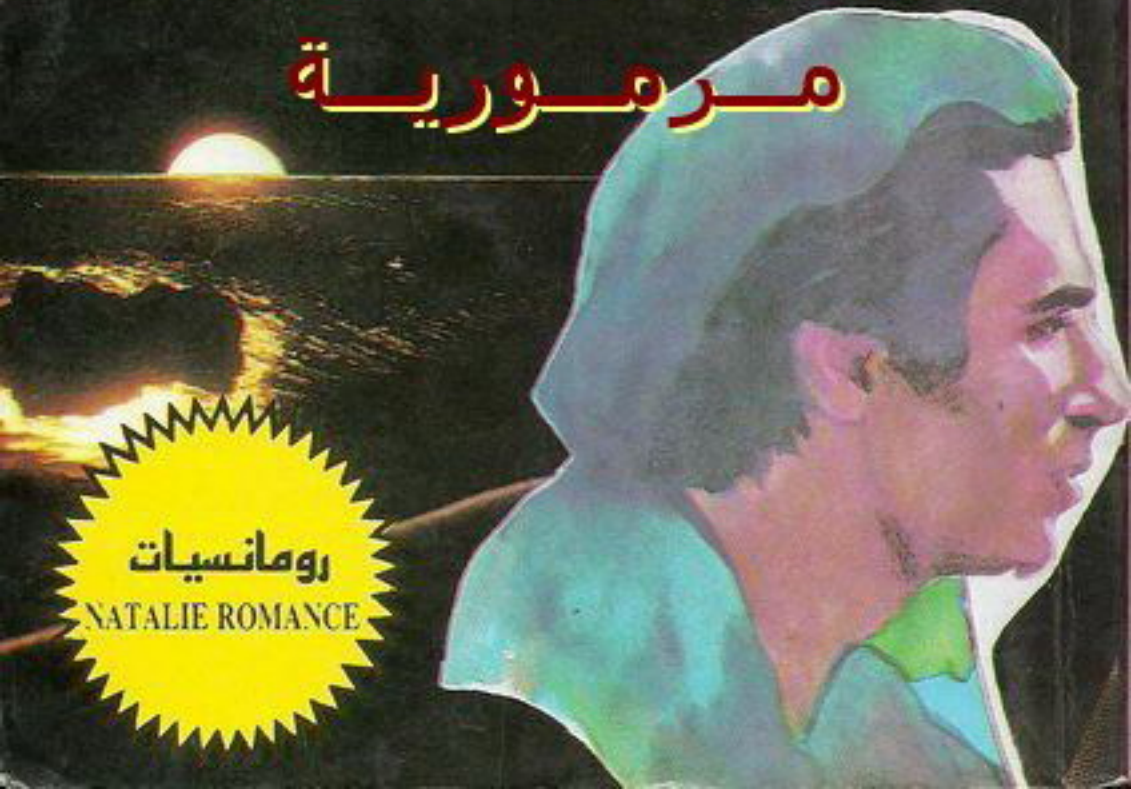

رومانسيات

NATALIE ROMANCE

سلاسل سوڤنير الجميلة

Souvenir beautiful series

رومانسيات ناتالي Natalie Romance

الناشر:
دار الراتب - سوڤنير

سلسلة حديثة لأروع القصص والروايات العاطفية.
بأسلوب شيق وأحداث ومغامرات مثيرة... للشباب.

- العاصفة في قلبها
- آدم وحواء
- دوامة الذكريات
- أشواك المرأة
- المطاردة العنيفة
- الخيانة الزوجية
- الغريب الغامض
- الحب وقيوده
- الخالة أبداً
- حب أم واجب
- حب في الأدغال
- لا تتركني أبداً (الوجه الآخر)
- هل يعود الحب
- لا وقت للحب
- الأرملة العاشقة
- رقم الحظ

تطلب من:

بيروت: وكالة المطبوعات اللبنانية
القاهرة: هلابوك شوب
عمان: مكتبة الراتب العلمية بالأردن
دبي: مكتبة دار المناهل
أبو ظبي: مكتبة الجامعة
الشارقة: مكتبة دار الآداب
مسقط: دار الأسرة - سلطنة عُمان
الدار البيضاء: دار الآفاق الجديدة
سوريا: المؤسسة السورية لتوزيع المطبوعات
الكويت: وكالة المطبوعات
قطر: مكتبة المعارف

رومانسيات ناتالي

NATALIE ROMANCE

www.rewity.com
مرموريه

الغريب الغامض

المؤلفة

ريبيكا كريغ

سلاسل سوثنير

الملخص

«الأمر شاذ.. والكثير مما يدور في القرية يبدو غريباً.. فأصحاب الدكان مثلاً يرتابون بأنني أقوم بأعمال السحر الأسود في منزل دراكولا.. هذا ومن الطبيعي أن أرغب في منزل قرب الولدين.. طالما أنا مسؤول عنهما.

«لست مسؤولاً عنهما».

«قانونياً أنا مسؤول، مالياً أنا مسؤول.. ولقد أرصدت الأموال لمستقبلهما وأنا الأمين عليهما».

ومع ذلك فلم تكن لتحلم أن كل هذا سيؤثر عاطفياً عليها.

فهل سيكون لوجوده أثر على حياتها؟

وهل نظرته إليها ستختلف عن مجرد كونه «الوصي»؟.

الفصل الأول

ركضت جوانا عبر المرجة باتجاه مدرسة القرية، ولم يكن هناك رصيف للطريق، بل كانت منزلقة بسبب أوراق الشجر المتساقطة المبللة.. مرة أو أكثر كادت تقع بشكل خطير. وألقت نظرة سريعة إلى ساعتها.. إنها الرابعة، ولا بد أن الأطفال قد خرجوا من آخر صف لهم عند الرابعة إلا ربع. ولا بد أيضاً من أن يكونوا قلقين لتأخرها، والآنسة فورستر لا تطيق صبراً كي تقفل أبواب المدرسة.

وأحست بألم في خاصرتها، فخففت من سرعتها.. سخافة حقاً أن تخاف من معلمة الأطفال، مع عدم إنكارها أنها تخافها، توقع رؤية وجه الآنسة فورستر المتجهم دفعها إلى الركض ثانية.

فجأة ودون توقع، سمعت صوت هدير محرك سيارة خلفها. وتذكرت أن لا أحد يأتي بسيارة على هذه الطريق سوى شاحنة المزرعة، وأحياناً سيارة البريغادير بدفورد.. وقفزت دون وعي نحو القناة.. وكان العشب رطباً عليها أن تتشبث بشجرة شوكية كي تمنع نفسها من الأنزلاق فوق ما أصبح بفضل مطر الخريف جدولاً صغيراً يندفع بسرعة. وصاحت:

ـ اللعنة!

www.rewity.com

وتوقفت السيارة، ونزل السائق منها، ثم نظر من حوله وتقدم.. وحدقت جوانا به، وقد أحست بالأنزعاج من عدم اهتمامه الزائد. من موقعها المزري على الأرض، بدا لها طويلاً، يرتدي نظارة سوداء، بدت سخيفة وغير ضرورية في ذلك المساء.. ومن خلف النظارة بدا مقطباً. في ظروف عادية، مواجهة رجل غريب كانت ستفزعها، ولكن بما أنها مبتلة، وتشعر بالبرد، ومتأخرة، وفوق كل هذا فزعة، وليتوج كل هذا وقف الرجل ينظر إليها دون عرض المساعدة لها لتقف، وكأنه يضحك عليها، وكأنها جرو متكور إلى جانب الطريق.. فكافحت بشراسة لتقف.. فقلب شفته وقال:

ـ أظن أنك بخير؟ لا أرى دماً أو طرفاً مكسوراً.

ـ ولا فضل لك في هذا! حسناً.. ساعدني لأقف.

فتجاهل يدها الممدودة، وانحنى ليلف ذراعه حولها ويوقفها على قدميها.. ثم يضعها فوق الطريق، وبقي ممسكاً بها وكأنه يظن أنها ستقع ثانية، ثم بدأ ينفض عنها الأوساخ. فصرّت جوانا على أسنانها وقالت بغضب:

ـ شكراً لك.

ـ لا داعي للشكر. كنت موحلة. هل تحبين الوحل؟

ـ الأفضل أن ترشها علي سيارة مسرعة..

ونظرت إلى سيارته، لتجدها من النوع الرياضي المنخفض الذي كان يفضله شقيقها، ولاحظت بسرور إنها مليئة بالوحل.

ـ ترش عليك الوحل.؟ وهل ظننت أنني قد أصدمك؟ أهذا هو سبب غطسك في الوحل هكذا؟ فهمت.. أنا آسف.

وردت عليه بأدب مبالغ فيه:

ـ أنت لطيف جداً.

فضحك، وأضاف:

ـ اوه.. يا إلهي.! أنا حقاً آسف.. ولكن لم تكوني بحاجة للقفز هكذا عن طريقي.. فالسيارة يمكن إيقافها بلحظة، وأنا لم أكن مسرعاً.

ـ السرعة نسبية. فمعظم السير عندنا هنا يكون على أربعة أرجل.

ـ حسناً.. لقد كنت مسرعاً حسب المقاييس المحلية. ولكنني كنت أبعد عنك ميلاً.

ـ لم أشعر هكذا. كان لدي انطباع أنك قد لاحقتني.

ـ أنا آسف.

وأخذ ينظر إليها وكأنها شيء لم يشاهد مثله من قبل، ووجده مثيراً للأهتمام

ـ لا يبدو عليك الأسف.

وقال بحذر:

ـ أعني.. أنني آسف.. لأنك متوترة الأعصاب هكذا.

وبلغت قمة الغضب، فجذبت ذراعها من يده.

ـ كيف تجرؤ على هذا القول؟

وأخذ يهتز من الضحك.

ـ إسمحي لي أن أوصلك إلى حيث أنت ذاهبة، وسنتناقش بالأمر.

ـ لن أفعل.

ـ يبدو أنك غير متمدنة.

ـ لا.. ولقد تأخرت.

ونظرت إلى ساعتها فوجدتها ملطخة باللون الأخضر، وبدت العقارب تحتها تشير إلى عشر دقائق بعد الرابعة:

ـ إعذرني.. يجب أن أذهب.. على أخذ الأولاد من المدرسة.

واستدارت لتذهب فأحست ثانية بالألم في خاصرتها، فتأوهت، وأمسك بكوعها بسرعة وقال مقطباً:

ـ هل أصبت بأذى؟

ـ لا شيء.. حتى أنك لا ذنب لك به. كنت أركض وأحسست بألم.

فضحك:

ـ حسناً.. هذا صدق كافٍ منك. ومع ذلك لا أستطيع تركك تسيرين في هذا الطريق الموحل. سأوصلك إلى المدرسة.

ـ ولكنها ليست بعيدة.

فسار إلى السيارة وفتح لها الباب:

ـ إصعدي.

ـ حسناً.. إنها في آخر الطريق أمامنا إلى اليسار، نصف ميل بعد. وكان الأولاد بانتظارها.. ولا أثر للآنسة فورستر.

وقالت للرجل.. وعينها على مونيكا.

ـ هنا.. أرجوك.

ـ هل هذه الطفلة لك؟

ـ أجل أنها واحدة إثنين.

ولاحظت مونيكا أن السيارة تبطيء قرب المدرسة، ونزلت منها جوانا، فبدأت تحاول تسلق الجدار المنخفض لتخرج من المدرسة إليها.. ووقعت حقيبتها منها.. فتجاهلتها صائحة وهي تركض نحو السيارة:

ـ أبي!

وجمدت جوانا.. لماذا لم تفكر بما سيفعله منظر السيارة بالأولاد؟ ألم يتبادر إلى ذهنها أنها تشبه سيارة ريتشارد؟ وأحست بالفزع وهي تراقب المشهد.

منقذها، وهو ينزل من السيارة، بعد أن صرخت مونيكا، استدار بسرعة وصفق الباب وراءه وتلقى الفتاة بين يديه، واستدار بها وهو يرفعها في الهواء ضاحكاً. وقال برقة:

ـ أخشى أن تكوني مخطئة. ولكن والدك محظوظ. هل الآباء وحدهم من يتلقون التحية؟ ألا تستاهل الأم واحدة؟

ـ هذه ليست أمي.. أنها جوانا فقط.

ـ اوه..

وتدخلت جوانا:

ـ مونيكا ابنة أخي. وهي تعيش معي مع شقيقها الذي يلعب هناك.

ـ فهمت.. حسناً يبدوان بحجم معقول، ويمكن أن نضعهما في المقعد الخلفي وأوصلكم إلى المنزل.

وقاومت جوانا كبرياءها.. ستكون نعمة لها أن لا تضطر إلى السير أكثر من ميل ونصف لتصل إلى المنزل والطفلين يجرجران أذيالهما خلفهما. ومع ذلك فقد كانت الكبرياء ستفوز لولا ظهور الآنسة فورستر في تلك اللحظة.

مدرسة القرية فيها صفان يؤويان حوالي الثلاثين طفلاً، الصغار تعلمهم معلمة عجوز عمرها من عمر المدرسة تقريباً. والكبار، ومن بينهم مونيكا وبوب، هم في صف الآنسة فورستر، وكانت شابة صغيرة رياضية، شعرها أشقر قصير وترتدي النظارات، وكانت لها نظرة مخيفة لا يجرؤ حتى بوب على عدم إطاعتها.. وقالت «الدراغون» الصغيرة وهي تقفل باب المدرسة لخارجي!

ـ آه آنسة راينهارت.. هل أخرك شيء عن القدوم؟

ودون أن ترفع صوتها أو تلتفت قالت؛

ـ نحن.. لا نسير فوق الحائط دايفد.

وتخلى بوب عن لعبة وتقدم ليقف إلى جانب جوانا.. التي قالت:

ـ لقد تأخرت في عملي.. ثم وقعت على المرجة.. وهذا السيد

WWW.REWITY.COM

ساعدني وأوصلني لمّا تبقى من الطريق.

وأدارت الآنسة فورستر نظارتها إليه، ولدهشة جوانا ابتسمت له، وبدت تماماً مثلها مثل البشر، وتجاهلت الآخرين وهي تسأله ما إذا كان قد أضاع طريقه ودخل القرية عن طريق الخطأ. ثم التفتت إلى جوانا لتسألها:

ـ هل أصبت بأذى؟

ـ لا أظن..

ـ آسفة لما حدث لك. وبالطبع.. لم تكن غلطتك.. ولكنك قلت أنك تركت عملك متأخرة. وهذه المرة الثالثة هذا الأسبوع، يا آنسة. ولن أستطيع حقاً إبقاء الأولاد كل هذه المدة.. وعليك أن تحاولي الوصول في الوقت المحدد.

ـ أجل آنسة فورستر.

ـ لا أضمن أن أكون حرة للبقاء معهما كل يوم.

ـ لا.. آنسة فورستر.

وتدخل الرجل:

ـ هذا صحيح.. ونحن قد أخذنا ما يكفي من وقتك منذ وصلنا.

وتجاهل نظرة جوانا المعترضة وتابع:

ـ فلنحضر الأولاد حقيبتيهما، ولن نؤخر الآنسة فورستر أكثر.

وبدت الآنسة فورستر مذهولة، فهي بالتأكيد لم تعني هذا. ونظرت جوانا بارتباك من أحدهما إلى الآخر. ولاحظت أن الآنسة فورستر كانت أكثر من مستعدة لمتابعة الحديث مع الرجل الغريب.. مهما استغرق ذلك من وقت، ولكنه أشغل نفسه بوضع الأولاد في المقعد الخلفي للسيارة، وانحنى لها مودعاً، ولحقت به جوانا. وقال الرجل بعد أن غابت المدرسة عن أنظارهم:

ـ واو.. إنها ضابطة نظام فظيعة..

والتفت إلى جوانا:

ـ هل علمتك في الماضي؟

ـ مَن؟ أفريل فورستر؟ يا إلهي إنها أصغر مني سناً.

ـ لا يمكن لأحد أن يعرف هذا.

وأحست بالتوتر، فقد ارتابت في إنه يوجه لها إهانة:

ـ اوه..؟ ولماذا؟

ـ هكذا.. مجرد انطباع.. قولي لي. أين سآخذك؟

ـ أين أنت ذاهب؟

ـ إلى عزبة «الرياح».. إذا استطعت أن أجدها.

ـ اوه!

المنزل المذكور، كان فارغاً لأكثر من سنة منذ وفاة آخر مالك له.. والقرية مليئة بالإشاعات أن الورثة يقنعون مديرية الآثار الوطنية لشرائه. فهو منزل مبني في عصر من العصور الوسطى، صغير، ولكن جميل.. حتى وقت متأخر. فبعد موت السيدة أندرهيل العجوز، أصبح مهجوراً.. ولطالما هز سكان القرية رؤوسهم أسفاً على الأراضي الزراعية المحيطة به، والتي أصبحت بالتدريج جرداء. وهناك ريبة في وضع المنزل نفسه، ومن المتفق عليه أن السيدة أندرهيل قد أهملته خلال سنواتها الأخيرة، وإنه سيكلف كميات ضخمة من المال ليستعيد أهليته للسكن. وإذا لم يصلح عاجلاً.. فلن يعود هناك أمل فيه سوى أن يهدم.. وفي نظر البعض ستكون هذه مأساة.

ـ وهل تعرفين العزبة؟

فابتسمت جوانا بأسف، وهي من قضت طفولتها تلعب في حدائقه.

ـ أجل.. أعرفه.. إنه قرب البحر.. وأظن من الصعب عليك أن تجده بسهولة. هناك بوابة خلفية له، تفتح إلى باحة الكنيسة كنت

www.rewity.com

أستخدمها بنفسي منذ زمن بعيد. ولكن له طريق خاصة تصل إلى المنزل عبر الغابة التابعة له، عليك أن تتجه في تلك الطريق بعد ميلين من القرية.

- بعيد بهذا القدر.؟ ولكنني ظننت المنزل في القرية؟

- أجل.. والقرويون كلهم يدخلون إليه عبر باحة الكنيسة. أو من على طريق البحر. ولا يمكن الوصول بالسيارة عن كلا الطريقين.

- ولكنك قلت ميلين، وغابة المنزل.. هل كل هذه الأرض تابعة له؟

- كانت كذلك.. وأظن البريغادير بدفورد قد اشتراها من السيدة أندرهيل منذ سنوات. ولكن لا يزال هناك حق المرور إلى المنزل قائماً. مع أنني لست أدري في أي حالة هي الطريق الآن.

- لن تكون أسوأ من طرقكم المحلية. وعلي أن أخاطر.

وقالت مونيكا من المقعد الخلفي:

- كانوا يقطعون بعض الأشجار من الغابة في عطلة الأسبوع الماضي. كنت أنا وبونتي هناك نتمشى وقال لنا السيد أدامز أننا لا نستطيع البقاء لأنهم سيسقطون الشجرة الكبيرة قرب البوابة.

ورد عليها بوب:

- لم يكن ذلك لتنظيف الطريق يا غبية.. بل لأن الشجرة مريضة ولا يريدون لمرضها أن ينتشر.. هذا صحيح.. أليس كذلك يا جوانا؟

ولأن جوانا تعمل في مكتب بدفورد العقاري، فقد اعتقد الأولاد أن عليها معرفة كل شيء عنه وعن أرضه. ومع أنها ولدت وكبرت في القرية، فإن الأولاد، الجدد فيها منذ سنة، يعرفان أكثر منها، حول الأرض ومواسمها، والأماكن المحلية الخاصة والناس بالطبع. وكانت تحس أحياناً أنها تعيش مع إثنين من أكبر ناقلي الإشاعات في القرية. وردت عليه:

- لست أدري.. وأنت تعرفي يا مونيكا أنني لا أحب أن تأخذي بونتي لنزهة لوحدك.

وبونتي هو كلب من فصيلة الذئب الألماني، وهو ملك لأرثر بدفورد.. وعلى الرغم من محبتها للحيوانات، فقد كانت تخاف بونتي ولا تخرج معه سوى برفقة جوانا كي تدفعها للقبول بتربية كلب في منزلهما الريفي.

وقال الرجل:

- وما خطب الأشجار؟ هل هو مرض «الحافور» الألماني؟

فتنهدت جوانا:

- أعتقد هذا.. لقد حدث بعض التحطيم في الشجر وسقوطه في التلال.. ولكن البريغادير بدفورد كان يأمل أن لا يصل المرض إلى هنا.

- ومن هو البريغادير برفورد؟ هل هو الحاكم المحلي؟

- يمكنك دعوته هكذا.

ووصل إلى نهاية الطريق، فتوقف

- إلى أين الآن؟

- إستدر إلى اليمين، ثم بخط مستقيم عبر الوادي.. وسأكون شاكرة لو أنزلتنا قرب الدكان. ثم تابع سيرك وتجاوز محطة الأوتوبيس، ثم قصر «الأمير».

- شكراً لك.. وهل لهذه الطريق لوحة؟

- لست واثقة.. أتتذكرين يا مونيكا؟

- لست واثقة.

- أخشى أن لا نكون مفيدين لك. فأنا عادة لا ألاحظ ما هو موجود حولي.. كل ما أذكره أن الطريق مظلم، يظلله شجر الغار والورود المتسلقة، أو ما شابهها.. اوه، وهناك بوابة حديدية مزدوجة.

- مقفلة؟

- بالطبع لا. لم تكن مقفلة أبداً كما أذكر.
- إذن لا بد أنها مغطاة بالأعشاب ولا يمكن تمييزها. أمر محبط.. وكأنه قصر الأميرة النائمة المهجور. وهل هذا المدخل إلى اليمين أو اليسار؟

- إلى اليسار.. باتجاه البحر. والمنزل قرب الشاطيء.. ولهذا سميت العزبة «بالرياح».

- أنا مسرور لأنك ذكرت هذا!
- ولماذا؟
- لأنني ظننت الأسم قد أتي من خرافات الغيلان.
- آه.. هذه هي الدكان.. أيمكن أن تقف هنا..

وتوقف أمام الدكان على حافة الطريق.. فقالت:

- لا لزوم للتوقف، تابع سيرك بعد أن ننزل.
- ولكن هناك لزوم إذا كنت أريد أن آكل الليلة، هذا إذا لم أذكر صباح الغد.. أم إنهم سيرفضون خدمتي لأنني أوصلتك؟

- لا تقول هذا.. لم يبدر إلى ذهني أنك قد تريد الشراء.
- ولماذا لا؟ هل ظننت أنني سأعيش على بيض البوم ودماء السعادين، لمجرد أنني سأقيم في منزل الغول؟

- لم أفكر بهذا مطلقاً. أنت لم تقل أنك ستقيم هناك.
- حسناً.. سأقيم هناك، ومع أنني لا أريد استعجالك ولكن يبدو أن الدكان ستقفل.. ألا يجدر أن نطلب ما نريد قبل أن يقفلوا الأبواب؟

- اوه أجل، بالطبع.

وسارعت على الفور إلى دخول الدكان وطلبت الخبز ومربى التوت. وتبعها الأولاد مع الغريب، الذي نظر من حوله بينما هي تطلب مشترياتها. وقالت جوانا للسيدة هوب صاحبة المحل:

- ربما تفضلين خدمة هذا السيد أولاً.
- حسناً، بالطبع. فأنت لست مستعجلة يا عزيزتي.

واشترى الغريب كمية سخية، بما فيها البطاطا «التشبس» التي جعلت عيون الطفلين تتسعان إعجاباً. كذلك اشترى علبة كبيرة من القهوة السريعة التحضير، والتي تحتفظ السيدة هوب بمثلها للسيدة بدفورد، وسألته وهو يضع مشترياته في علبة كرتون كبيرة:

- وهل تظن أنك ستبقى هناك طويلاً؟

فنظر إلى علبة القهوة الكبيرة في يده وابتسم:

- في العادة أنا أتناول القهوة بكثرة.

وأخفت جوانا ابتسامة.. ومع أنها كانت لا تزال تهديء نفسها من مواجهتهما، إلا أنها لم تكن لتنكر أنه كان يتعامل مع السيدة هوب بتفوق. فقد كان يصد كل سؤال تطرحه، ولكن بأدب حتى أنها لم تلاحظ أنه يصدها. وبعد عشر دقائق من الأخذ والرد لم تكن قد تعرفت بعد على إسمه. وأعجبت جوانا بطريقة تعامله معها وهي التي طالما عانت من حشريتها وثرثرتها، وعندما قدمت له الفاتورة، أخرج دفتر الشيكات من جيبه فأوقع دفتراً صغيراً التقطته مونيكا وقالت:

- هذا جواز سفرك.. يجب أن لا تضيعه، وإلا لن تتمكن من العودة إلى بلدك. أبي عنده واحد، وكذلك أنا وبوب.

- شكراً لك.

وأخذ منها الجواز وأرجعه إلى جيبه.. وأقلق قلة إهتمامه مونيكا فقالت بغيظ:

- لا يجب أن تضيعه.
- لن أفعل.

ولم يقدم الرجل أي شرح لماذا يتجول في كندا وجواز سفره في

جيبه.. والتقت عينا السيدة هوب بعيني جوانا بتعجب. فأدارت جوانا وجهها.. السيدة هوب سيئة الظن، كأهل القرية تماماً.

وأعادت نظرها إليه، له وجه متحفظ غريب، ووجنتان مرتفعتان، وفم ممتلىء، ويرتدي نظارات سوداء.. ولاحظت أن النظارة السوداء تراقبها باهتمام.. وبدون منطق، وجدت أن نظرته هذه فيها شيء من الفظاظة. وعن قصد، رفعت حاجبيها وردت له نظرته المتفحصة. فالتوت زاوية من فمه وكأنه يوشك على الابتسام. وقال لها بمرح:

ـ حسناً.. يبدو أنني قد أشتريت كل ما أحتاجه الآن.. شكراً لك لأرشادي على الطريق.. الوداع.

وراقبه الولدان وهو يضع صندوق مشترياته في السيارة. فنظرته إلى أولويات تموين الطعام بدت لهما مختلفة عن نظرة عمتهما. وشاركتهما السيدة هوب النظر إلى رحيله، وقالت متفلسفة:

ـ أعتقد أننا سنراه كثيراً.. هذا إذا قرر السكن في العزبة.

آخر كلماتها بدت كسؤال بشكل واضح. فقالت جوانا بحدة، إنها لا تعلم أي شيء عنه خططه، وقطعاً لأي سؤال قادم، أضافت أنها لا تعرف من هو، وقالت للطفلين:

ـ هيا بنا، فالسيدة هوب ترغب في إقفال الدكان، ولقد حان الوقت لتناول الشاي، وإلا فلن تتمكنا من كتابة فروضكما المدرسية.

في الطريق إلى المنزل التفتت جوانا للصغيرة مونيكا:

ـ هل أنت تعبة؟

ـ لا.. هل يمكننا الذهاب لرؤية عمنا آرثر؟

ـ أنت تعني هل بإمكاننا الذهاب لرؤية «بونتي».. حسناً، أعتقد هذا،

ولكن ليس لوقت طويل.. فالعم آرثر سيكون مشغولاً، وكلاكما لديكما فروض مدرسية لتنهياها هذا المساء.

وبدأ الطفلان يركضان نحو قصر الأمير. إنه فندق يقع عند طرف القرية ويبدو ككوخ ريفي عتيق، وهو ملك لآرثر بدفورد ابن أخ مخدومها، واشتراه منذ خمس سنوات عندما كان مجرد حانة قروية بسيطة، ونجح في أن يجعله أفضل مطعم في المنطقة، يعمل فيه أشهر الطباخين وأجمل الساقيات..

وعلى العموم، فالرأي السائد إنه أنفق مبلغاً لا بأس به على إصلاح هذا المكان العتيق. وهذا أمر تعرفه جوانا جيداً، فقد عملت له أعمالاً مكتبية في تلك الأثناء. ومع ذلك فقد كان عليه أحياناً إستدانة مبالغ من المال من عمه كي يعبر بعض الأزمات المارة. وتعلم جوانا، بما أن موسم الصيف قد انتهى الآن وموسم الميلاد لم يبدأ بعد، أن أزمة جديدة تلوح في الأفق، وتعلم كذلك أن البريغادير بدفورد سيكون صعب الإقناع لمد يد المساعدة هذه المرة.. وحاولت جوانا أن تلمح بهذا للشاب، الذي تحب عمه، وتحمل حباً خاصاً به شخصياً.

ودخلوا إلى غرفة الجلوس.. وكان آرثر، الذي يحب أن تكون مدفئة الحطب مشتعلة عند دخول أول زبون إلى المطعم، يشعل الحطب. ولطالما أفتتن الأولاد بعملية الأشعال والنفخ في الحطب وأرادوا أن يشاركوا فيها. فوافق آرثر، وسرعان ما تعالى اللهيب مزمجراً يطقطق الحطب ويملأ المدفئة ثم يهدأ بعد أن أخذ طريقه عبر المدخنة.. ووقفت جوانا تراقب المشهد وهي تبتسم.

وتدخلت قائلة للطفلين:

ـ عمكم آرثر لا يريد إشعال مدخنته ولا حرق منزله، هذا يكفي.

فاستدارت مونيكار إلى آرثر، فقال لها:

ـ حسناً، النار مشتعلة بشكل رائع الآن، ولا نريد أن نزيدها اشتعالاً، لماذا لا تخرجا وتلعبا مع بونتي؟

وصاحا ابتهاجاً وخرجا راكضان. فقال آرثر بارتياح:

ـ واو.. تلك الفتاة سيكون لها شأن، لها إرادة قوية.

ـ إنها حساسة جداً عندما تفسر لها الأمور بشكل مناسب.. وليس من الصواب الإستجابة لها كل مرة. فبتلك الطريقة لن تكتشف أن هناك بعض الأشياء لا يمكنها الحصول عليها، وأشياء أخرى من الخطر أن تفعلها.

ـ قد يكون ذلك خطأ، ولكن الآن هكذا أسهل. ولست أدري كيف تتمكنين من السيطرة عليها.. فهي لا تقبل بالرفض أبداً. أنت تبدين تعبة، هل يتعبك هذان الطفلان؟

فضحكت:

ـ لا.. ليس في الواقع. لقد أحسست بالتعب منذ استيقظت. وتأخرت في العمل وفي المصرف وفي طريقي إلى المدرسة. ووقعت في القناة إنه يوم سيء علي.

ـ يا حبي المسكين.. أنت أصلاً لست بارعة في المحافظة على المواعيد. لقد أمضيت ساعات كثيرة في انتظارك عند سفح التلة لتوصيلك إلى البلدة أكثر مما انتظرت النساء الأخريات مجتمعات.

فكشرت جوانا بوجهها:

ـ كان هذا منذ خمسة عشر سنة.

ـ ولكنك لم تتغيري.. هل هناك سبب خاص لتعبك اليوم؟

وأخذت جوانا منه فنجان القهوة، مع علمها بأنها يجب أن تكون الآن في طريقها إلى المنزل. ولكنها لم تكن ترغب في خسارة هذه اللحظات الثمينة مع آرثر. وإضافة إلى رغبتها في إقناعه بأنها لم تعد تلك الفتاة الصغيرة المتسخة الأصابع بالحبر والتي يتذكرها جيداً، فهي كانت

تحس، وبشيء من الأنتقاد الذاتي، إنها لم تصل إلى درجة الأناقة التي يتطلبها آرثر في محبوباته. لذا كانت تشعر بالأمتنان لأن تبقى مثل هذه المشاعر سرية في نفسها. فأجابته:

ـ لقد كان فكري مشغولاً بأشياء.. لقد وصلتني رسالة من ريتشارد.

ـ ريتشارد؟ أتعنين أخيك؟ كنت أظن أنه لا يزال في المستشفى.

هل سيخرجونه منها؟

ـ لا.. وأنا قلقة لهذا. فهو يعتقد أنهم لن يسمحوا له بالخروج أبداً.

ـ ماذا؟

ـ لقد مضى عليه هناك سنة الآن، منذ السيول التي قتلت لودي.

ـ أذكر هذا.. لقد حدث في أوستراليا.. وعندها استلمت الأطفال.

ـ أجل.. يومها أصيب بنوع من الحمى.. بدت كالملاريا، ولكنهم قالوا أنها حمى من النوع النادر وأن عليه الدخول إلى مستشفى خاص للعلاج.. وهو في تلك المستشفى منذ زمن الآن، ولا بد أن الشركة التي كان يعمل بها تدفع مصاريفه، وهي التي ترسل إلي مصاريف الطفلين، كل شهر.. ولهذا لم يكتب لي خلال سنة سوى ثلاث مرات.. في الميلاد.. وعيد الطفلين... والآن هذه الرسالة المطولة، يذكرني فيها كم أن الطفلين بحاجة إلى أب.. وأنني لست مسؤولة كفاية لأن يبقوا معي إلا على أساس مؤقت. وأخشى أن يكون يفكر بإرسالهما إلى أهل زوجته.

ـ ولكن هذا ليس بالأمر السيء. وبإمكانهما هناك الذهاب إلى مدرسة محترمة، بدل هذه المدرسة التي لا تنفع هنا... ويتركك هذا حرّة لأن تعيشي حياتك كما يحلو لك.

ـ ولكنهما حياتي.

ـ إذن فهذا خطأ.

ـ لا تكن سخيفاً. أنت تعرف ما أقصده. إنهما جزء من حياتي...

www.rewity.com

وسيبقيان كذلك حتى ولو ذهبا إلى مونتريال للسكن مع جديهما.

ـ إنسي الأمر.. مثل هذه الأمور تأخذ وقتاً طويلاً لتترتب. وهو لم يقل لك فعلاً إنه يريد إرسالهما إلى هناك.. أليس كذلك؟

ـ لا.

ـ إذن وفري عليك الحزن حتى يفعل.

وفتح باب الغرفة، فاستدار لتبدو على وجهه نظرة نصفها غبي ونصفها إحساس غريب. فقال:

ـ جوانا.. لا أظن أنك تعرفي سامنثا.. إنها تعمل هنا مع الطباخ الجديد.

فغاص قلب جوانا لجمال وجه وبسمة الفتاة.. التي كانت مؤدبة جداً، ووضعت يدها على ذراع آرثر:

ـ هناك رجل في الخارج يريد أن يعرف متى تقدم العشاء. من الواضح أنه قد انتقل إلى هنا حديثاً ولا مطبخ في منزله، ولا يريد أن يتأخر في العشاء لأن لديه بعض الأعمال. وقلت له أننا نستطيع خدمته متى يشاء.. أهناك مانع؟ إنه رائع.

ـ هل هو هكذا فعلاً؟

وقالت جوانا:

ـ أظن أنني أعرف الرجل، في الواقع إنه الشخص الذي دفعني للوقوع في القناة يا آرثر، يبدو أنه سيسكن في العزبة القديمة. وهو لا يحبها جداً، من نوع الأسماء التي دعاها بها. مع أن هذا مخجل، فهي منزل جميل.. ولكنه لا يبدو من النوع الذي قد يعجبه.

وقالت سامنثا محتجة:

ـ إنه جذاب جداً يا آرثر.. وأنا واثقة أنه سيعجبك.

ـ حسناً.. إذا كان سيصبح زبوناً عندنا، فعلي أن أعجب به. أليس كذلك؟ فالله يعلم أننا بحاجة لأمثاله.

وقالت جوانا دون أن تفكر:

ـ جذاب؟ بالتأكيد لا.

وفتح الباب خلفها.. وبما إنه لم يحن موعد فتح المطعم بعد، فلم تعره جوانا اهتماماً، فلا بد أن من فتحه هم الأولاد أو الطباخ الجديد أو الساقي. فتابعت:

ـ لقد ظننت إنه قذر خسيس.

فقال لها آرثر:

ـ لا يمكنك الحكم على الناس بمظاهرهم.

فقالت بحزم:

ـ حسناً.. لم يعجبني تعبير وجهه، حتى إنه لم يظهر أي تعاطف معي عندما وقعت في القناة.. وبدا لي.. قاسياً.

ومن خلفها سمعت سعالاً غاضباً مقصوداً. وقال الغريب بتواضع ولكن بخبث ظاهر وعيناه على جوانا:

ـ أرجوا أن تعذروني لدخولي هكذا، ولكن الجو بارد في الخارج. لقد كنت مسافراً لفترة طويلة.. ونسيت كم هي هذه المناطق من كندا باردة.

وللحظة غاضبة، أعادت له نظراته الساخرة. ثم استدارت على عقبيها.. وخرجت مسرعة.

www.rewity.com

الفصل الثاني

لم تشاهد جوانا الغريب في عزبة «الريح» في الأسابيع التي تلت. فقد كان البريغادير بدفورد يحاول الحصول على قرض لشراء بعض الآلات الزراعية.. وهكذا بقيت مشغولة في المكتب العقاري الذي يملكه طوال الوقت. حتى أنها لم يكن لديها الوقت للاستماع إلى ثرثرة السيدة هوب عندما تقف عندها لتشتري الخضار. فقد كانت القرية تهمهم بفضول حول بضع وقائع تثبت أن المنزل القديم يتساقط. إضافة إلى الكثير من المعلومات والتوقعات الأخرى المثيرة.

وعلمت جوانا، إنه قريب بعيد للسيدة أندرهيل.. وقالت السيدة هوب:

ـ مع أن هوب يعتقد إنه جاسوس. على أساس نظارته السوداء. وحمله لجواز سفره معه.

ـ جاسوس؟ أتعتقدي إنه أحد جواسيسنا؟ أو جاسوس أجنبي؟

ـ ما أسخفك يا جوانا! أنت لست أفضل من هوب بأفكاره السخيفة. لا بد أن الأفلام على التلفزيون أثرت بكما.. ما الذي يفعله جاسوس هنا.. أسألك؟

وفكرت جوانا بالأمر:

ـ لا يجب أن يفعل شيئاً في الوقت الحاضر. ربما يؤسس لنفسه مركزاً هنا، وعندما نعتاد عليه.. سيأتي بعض السياسيين الكبار أو العلماء للسكن هنا، ثم يعود إلى عمله.. يتابع تجسسه دون أن يدري به أحد.

ـ يتابع عمله! سيد مهذب لطيف مثله؟

ـ اوه.. يجب أن يكون سيداً مهذباً ولطيفاً، وإلا لن يستطيع كسب إعجابنا. ولكنني واثقة إنه هنا لهذا السبب. أو ربما هو من وزارة الداخلية، ولا بد أنهم سمعوا أن البريغادير بدفورد قد شاهد أسماك قرش غريبة في الجوار.

ـ يجب أن تخجلي من نفسك جوانا.. لماذا تؤلفين مثل هذه القصص عن الناس المحترمين؟ وليس لديك برهان على صحة ما تقولين. لقد آن لك أن تكبري. لست أدري ما سيفعله هذان الطفلان معك.

ـ لا يبدوان لي ممانعان.

ـ أستطيع قول هذا. أنت قاسية بطبيعتك.. وهذا الأمر كان دائماً صفة عائلتك... ليس منهم واحد مات ميتة طبيعية كما أذكر!

ـ أتتوقعي مني أن أحبسهما في المنزل لمجرد أن جوي كسر رقبته في الصيد.

ـ ووالدك، ليرحمه الله.

ـ والدي توفي في حادث سيارة.

ـ آه.. لقد كان يقود سيارته بسرعة مجنونة.. ومن حسن الحظ إنه لم يقتل أحداً معه. كان معتاداً على القيادة بسرعة وأنت إلى جانبه وريتشارد على ركبته، حتى يكاد الدم ينشف في عروقي.

ـ حسناً.. ليس في سيارتي سعة كي يجلس أحدهما على ركبتي فيها.

ـ هكذا أفضل.

وأعطتها السيدة هوب باقي نقودها ببطء، ثم اتجهت نحو الباب.. وأزيحت الستارة التي تخبيء باب غرفة الجلوس خلف الدكان وخرج السيد هوب، يفرك عيناه من قيلولة بعد الظهر. فصاحت زوجته:

ـ ها هو هوب!.. جوانا توافقك الرأي حول السيد تورنيول.

فقالت جوانا متسائلة:

ـ تورنيول؟

ـ أجل هذا إسمه برايان تورنيول. لقد قلت لهوب لو إنه جاسوس.. وهذا أمر لا أصدقه أبداً.. فلا بد أن جهة ما تدفع فواتيره.

ـ اوه.. هذا صحيح.. فلديهم سمعتهم ليحافظوا عليها. علي العودة الآن إلى العمل وإلا فلن أتمكن في أخذ الأولاد في الموعد المحدد من المدرسة. وداعاً الآن.

وخرجت مسرعة فقالت السيدة هوب معلقة:

ـ المسكينة ليس لديها وقت لنفسها، عملها والعناية بالطفلين...

ولم يكن آل هوب وحدهم من يفكر بالقادم الجديد، هكذا عرفت جوانا لدي عودتها إلى المكتب العقاري. فقد اكتشفت أن السيدة بدفورد.. بوقارها وحشمتها، قد وضعته تحت البحث. حتى أن زوجها قال لها:

ـ أتجمعين ملفاً عن الرجل؟

ووجدت جوانا البريغادير بدفورد يجلس في المكتب الملحق بمنزله، قرب النافذة.. فقال لها بعد أن حياها:

ـ إيزابيل تريدك.. لبعض عمل الخير. ومن الأفضل ترك طبع تلك الرسائل إلى الغد. إنها في غرفة الجلوس، ولديها مشروع يتعلق بعزبة

«الريح».. والله يعلم ماذا تنوي.. كانت تتكلم عن حفلة راقصة.. هه.. حفلة راقصة!

ـ في العزبة؟

ـ بالضبط.. والله أعلم كيف ستتدبر الأمر. أعني، أن المرء لا يستطيع اقتحام منزل غريب كامل ليطلب منه إقامة حفلة راقصة في منزله.

ـ بل هذا ممكن إذا كان ذلك لفعل الخير.

ـ فعل الخير! إنهن عصبة من النساء دون شيء يشغلهن يحشرن أنوفهن بما لا يعنيهن.. وسيكون جيداً لهن لو أن الشاب طردهن... هل تعتقدين إنه قد يفعل؟

وتنهدت جوانا، إنها تفهم تماماً لماذا يأمل بأن يرفض تورينول هذا.. ثم قالت مفكرة:

ـ لا أعرف الكثير عنه.. لقد التقيته مرة.. ويبدو.. كثير الثقة بنفسه.. ولا أعتقد أن بإمكان السيدة بدفورد إقناعه بحفلة راقصة إذا لم يكن يرغب فيها. ومن ناحية أخرى قد يظن إنها فكرة جيدة أن يفتح منزله ليعرّف الناس به.. لست أدري.

ولكن السيد تورينول حتى الآن رفض العديد من دعوات السيدة بدفورد لتناول الشراب، أو العشاء، أو حتى شرب الشاي، وكان يعتذر بلباقة لانشغاله بأمرها. وقالت السيدة بدفورد تشكوا الأمر لجوانا:

ـ على الأقل يقول إنه مشغول.. ولكنني أظن إنه يتجنبني.

ـ أوه بالتأكيد لا.. فهو لم يمضِ عليه زمن هنا... ليكتشف أنني دائماً أكون أسعى وراء مطلب عندما أدعوا الناس لزيارتي؟ هذا صحيح، لم يمضي عليه زمن طويل ليعرف هذا. ربما تحادث جاك معه من وراء ظهري.

www.rewity.com

فضحكت جوانا

ـ أو أنه شكاك بطبيعته.

ورفعت ايزابيل يديها يائسة:

ـ في هذه الحالة، فليساعدنا الله.. فلن يعطينا العزبة لو أنه شكاك.

ـ ولماذا تريدين العزبة؟

ـ أنا سعيدة لسؤالك.. إنه مشروع لي. صبّي لنفسك بعض القهوة واجلسي إلى جانبي...

ففعلت جوانا ما قالته لها، ثم سألتها:

ـ حسن جداً أخبريني عن كل شيء. يبدو أن لا عمل لي في المكتب بعد الظهر، ولكنني أحذرك، يجب أن أخرج عند الثالثة والثلث وإلا سأتأخر على الأولاد.

ـ اوه.. الأولاد.. لا تقلقي سأوصلك بالسيارة. فهذا يستحق.. أنت مستمعتي الوحيدة المتعاطفة معي، فالجميع يسأم مني. حتى جاك، العزيز المسكين، يتمنى دائماً أن أفقد حماستي وأسكت. ولكنني لن أفعل.

ـ تسكتين عن ماذا؟

ـ عن فكرة سهرتي التنكرية للعصور الوسطى.

ـ سهرة تنكرية؟

وهزت المسنة رأسها بانتصار.. ففكرت جوانا للحظات ثم سألت:

ـ ولكن.. كيف.. ولماذا؟

ـ لماذا؟ كي نجمع التبرعات.. ولماذا غيره؟

ولم يربكها كلام السيدة برفورد فهي معتادة على مثل هذه الحفلات المولعة بها.. فجمعية السيدة بدفورد تشكلت بغرض جمع الأموال لشراء

ثلاثة قطع من الأراضي لأنشاء منتزه عام عليها. ولكن جوانا رغم معرفتها بكل هذا بقيت محتارة:

ـ حفلة تنكرية؟ ولكن ما هو المميز بالأزياء القديمة؟ لماذا لا تقيمين حفلة راقصة عادية؟

ـ لأن لدينا قصراً قديماً من العصور الوسطى في القرية، فعزبة «الريح» تناسب الغرض. وخاصة أنني أريدها بسرعة.

ـ بسرعة؟ متى؟

ـ اوه.. وقت الميلاد.

فابتلعت جوانا ريقها، فحدقت بها المرأة الأخرى قائلة:

ـ أنا لا أحب ترك مثل هذه الأمور عالقة.. فقد تفسد.

ـ ولكن.. الميلاد..

ـ بالطبع.. يمكننا أن نشعل نار حطب كبيرة، ويمكن للفرقة التمثيلية أن تقدم عرضاً للمناسبة. ويمكن للأطفال أن يغنوا تراتيل الميلاد.. وسنقدم لحم عجل..

ووقفت جوانا من مقعدها وقالت بقوة:

ـ لا.!

ـ ولكن يا عزيزتي من الطبيعي أن يستطيع آرثر التعاطي مع الأمر.

ـ ليس مع عجل.

ـ ولماذا لا؟ إذا كان لا يمانع آرثر في طبخه.

وقالت بعبوس، وهي تعرف محبوبها كما تعرف إمرأة عمه تماماً:

ـ آرثر لن يقبل شراء الحيوان، ونقله إلى هنا ثم رؤيته يُذبح ويُنظف ويوضع على النار..

www.RewityBooks

- ولكن هذا سيكون رائعاً. يمكننا أن نحرق عظامه على شاطيء البحر.

- لا حرق للعظام ولا عجل.. هذا إذا كنت تريدينني المشاركة في تنظيم السهرة.

فأجابتها السيدة العجوز بخشونة:

- بالطبع لن أريدك أن تشاركي في تنظيمها.. إنها مسؤولية كبيرة عليك يا عزيزتي.. ومتى سيكون لك الوقت، وأنت تعملين لجاك كما تفعلين.. وتعنين بالأولاد كل ليلة. وكما أفعل دائماً، سوف أنظم الحفلة بنفسي. ولم أفكر أبداً بأنك قد تشاركيني.

فاغتاظت جوانا، رغم ارتياحها، وصممت رأيها:

- بدون عجل.

ودون توقع، استسلمت السيدة بدفورد.

- اوه.. حسن جداً، مع أنني أعتقد أنك لست رومانسية.

- ولكنني دائماً كنت هكذا.

- مختلفة عن آرثر كثيراً. لقد وافق على الفكرة فوراً، ولم يعترض بسخف على أي شيء.

- لم يعترض..؟.

- أجل فلديه مخيلة أكثر من بعض الناس. على كل، الفكرة لا تزال فكرة حتى الآن.. فطالما لم أستطع مقابلة السيد تورينول والحصول على موافقته.. فلا فائدة من بحث الأمر.

- آه.. وهل تظنين إنه قد يرفض؟

- ليس تماماً. هل تظنين إنه سيرفض طلبي؟

- ربما لن يرفض. ولكن لا يبدو إنه يعمل هنا، أليس كذلك؟ وربما

اشترى المنزل لقضاء العطلات فيه، ولا أظن أن عليك الأعتماد على مقابلته وأخذ موافقته.

فردت عليها ايزابيل بثقة:

- سأمسك به، وسيوافق. وسأذهب هذا المساء لرؤيته بعد أن أوصلك إلى المنزل. لقد آن وقت ذهابنا.. هيا بنا.

بعد أن وضعت الولدين كل في سريره.. نزلت جوانا إلى المطبخ لتبدأ عملها المنزلي، ولتغسل ثيابهما كما كل أسبوع. وكانت لا تزال تهني نفسها لأنها لا تنتظر الآن زيارة أحد، عندما فوجئت بقرع عنيف على الباب. فأزاحت سلة الغسيل، وذهبت لتفتح.

كان برايان تورينول يقف عند الباب.. فأصيبت بالدهشة:

- تفضل بالدخول.

وسارعت إلى إقفال باب غرفة الأستقبال بعد أن دخلا فقال:

- أهذا تصرف عدائي؟

- لا.. ولكنني لا أريد أن يسمع الأولاد صوتنا إذا كانا لا يزالا صاحيين. وخاصة بوب. فهو يتأخر في النوم.

- بوب؟

- آه.. إنه ابن أخي.. لقد التقيت به.

- اوه أجل.. عرفته. ألا يحب أن يزورك أحد بعد حلول الظلام؟

- لا تكن ظالماً.

- وهل من عادته أن يرمي زجاجات الحليب المحطمة ليمحوا آثار الوحش الصغير.

- إنه ليس وحشاً صغيراً. ثم ماذا قلت؟

- زجاجات حليب، مكسورة، إنها منثورة على الطريق هناك ولقد

أصيبت ثلاثة من إطاراتي، وأردت استخدام هاتفك..

ولاحظت على الفور أن أصابعه مليئة بالشحم.. لا بد إنه كان يهم بتغيير إطار عندما اكتشف حالة الآخرين. وهذا يفسر نظرة التجهم على وجهه.. وتصاعدت فيها رغبة خبيثة للضحك. ولكنها قالت:

ـ بالطبع.. تفضل. إنه هناك، وإذا أردت الأتصال بالكاراج في القرية فالرقم على لوحة الأرقام. سأصنع لك بعض القهوة. فأنت مبلل وتشعر بالبرد.

وهربت إلى المطبخ لتستلم لنوبة من الضحك.

وكانت تجفف عينيها بمنشفة عندما أحست أنها مراقبة. وكان برايان تورنيول يقف بالباب. ومن منظر وقفته، أدركت أنه هناك منذ لحظات طويلة، يراقب ضحكها. فقال بغضب:

ـ هل تضحكين دائماً على مشاكل الآخرين؟

ـ ليس بإرادتي.

ـ ظننتك جنتني.. أول الأمر أدخلتني إلى المنزل وكأن المنزل مراقب.. ثم ادعيت أن ابن أخيك لا يحب زيارة الناس لكم بعد حلول الظلام.. والآن أجدك تضحكين بهستيرية في المطبخ.

ـ أنا آسفة.. يبدو الأمر شاذاً.. أعرف هذا.

ـ إنه شاذ.. على الأقل بالنسبة لي.. ولكنني وافد جديد والكثير مما يجري في هذه القرية يبدو غريباً لي.. فأصحاب الدكان الصغير يرتابون بأنني أقوم بأعمال سحر أسود في منزل دراكولا...

فضحكت جوانا ثانية لتسميته الغريبة لمنزله فتابع:

ـ زوجة البريغادير وزوجة القس تلاحقانني.. لماذا.. لا أستطيع أن أتخيل. وها أنت.. واليوم غزا المنزل طفلان مؤذيان، فعلا ما بوسعهما

لتدمير اللوحة الوحيدة الصالحة لدي.

ـ كم هذا.. مؤسف.. هل كانت غالية الثمن؟

واتسعت عيناه، ثم قال بهدوء:

ـ لقد عرفت.. لا بد أن ولداك هما المؤذيان.

وللحظات، كادت أن تنكر الأمر. ولكن مونيكا قبل أن تنام أعترفت لها بأن معلمة المدرسة أخرجتهما بنزهة، واكتشفت هي وبوب مدخلاً إلى منزل العزبة عبر أحد النوافذ، وتسببت أثناء دخولها بتحطيم إحدى اللوحات، ولكنها قالت:

ـ أخشى أن تكون محقاً. هل كانت اللوحة غالية الثمن؟ أرجوا أن لا يكونا قد حطماها كثيراً. ومما أخبراني به أصابهما شيء من هذه المغامرة.

فقطب جبينه بسرعة:

ـ أتعني أنهما أصيبا بأذى؟

ـ مونيكا قليلاً. ولقد عرفت بالأمر لهذا السبب، فهي لم تستطع تفسير سبب أصابتها بخدوش، لذا قالت لي الحقيقة.

ـ هل أخذتها للدكتور؟

ـ لا أظن أن..

ـ لا أستطيع التصديق.. لأجل الله يا فتاة.. تلك اللوحة معلقة هناك منذ مئة سنة أو أكثر، ولا نعرف أي نوع من الحشرات فيها. أو ما تحمل من جراثيم.

ونظرت إليه بعدائية:

ـ أنا أدرك تماماً ما هي المخاطر.. ولا أفقد تعقلي كلما أصيب واحد منهما بخدش في ركبته، صحيح إنها أصيبت بخدش ولكن اللوحة لم

تمزق الجلد. وقد يتورم كتفها قليلاً، بعد أن ارتعبت، وكلاهما أمر غير خطير، وما أنا مهتمة به أكثر هو ما سبباه من ضرر للوحتك. ويجب أن تسمح لي بالطبع في دفع الأضرار.

- كلام هراء.

- ولكنني أصرّ.

- حسناً.. لست أدري كم ستكلف، أو حتى إذا وجدت أحداً يصلحها.

- إذا وجدت أحداً يصلحها فارسل لي الفاتورة.

فتنهد وهو يقول:

- اوه.. حسن جداً. والآن هل تسمحي أن أغسل يداي؟

- ماذا؟ اوه.. بالطبع.

- وبعدها سأتصل بالكراج لأصلاح سيارتي.. إنها عند حافة الطريق إلى بيتك.

وعاد بعد أن غسل يديه إلى غرفة الجلوس، وسمعته يتحدث في الهاتف وهي تملأ الأبريق الفضي القديم وتضعه على النار.. وعندما عاد إلى المطبخ كان يعبق برائحة القهوة الطازجة.

- العجوز الغبي يقول أن على السيارة الأنتظار حتى الصباح.

وقالت وهي تضع الفناجين على الصينية.

- لقد ظننت إنه سيقول هذا.. هل أنت جائع؟

- أجل.. ماذا تعنين أنك ظننت إنه سيقول هذا؟ لماذا لم تقولي لي قبل أن أتصل به؟

- لأنني لم أكن واثقة، وربما قبل بالمجيء لأجلك. ولكنه لن يفعل لأجلي.. إنه رجل رجعي ولا يوافق على أن تقود النساء السيارات. لذا يشعر بالأنتصار علي عندما تتعطل سيارتي.

- وهو لا يحب السيارات الرياضية الغريبة أيضاً، ولا من يقودها.

- وقد يكون الأمر أسوأ.. عندما ننتهي من القهوة سأخرج سيارتي لأوصلك إلى العزبة.. إلى أي مدى أنت جائع؟ أتريد سندويش جبنة، أم تريد طعاماً مناسباً؟

فنظر إليها وقد ظهر المرح في عينيه:

- هل تعرضين علي إطعامي؟

واحمرّ وجه جوانا لعدة أسباب، فقالت بحياء:

- حسناً.. أنت مبلل وتشعر بالبرد. وهذه ليلة سيئة.

- إنها فعلاً كذلك.

وأخذ الصينية منها وبدأ يدهن بالزبدة قطعاً كبيرة من الخبز وتابع:

- ولن يتحسن الطقس، كما أتصور لقد تطفلت عليكم وقد أزعج الطفلين.. إنه إحسان كبير منك.

وقالت له جوانا مؤكدة:

- قد أفعل نفس الشيء لأي إنسان. ولكي تعرف الحقيقة، أنا السبب في كسر زجاجات الحليب على الطريق. لقد وضعتها هناك في كيس كي لا يتحمل موزع الحليب مشقة المجيء إلى هنا، ولكن الأمر لم يكن مرضياً. أظن أن علي الذهاب لكنس قطع الزجاج عن الطريق، فالليلة باردة وفيها ريح كثيرة، وقد يقع غيرك في الفخ.

ووضعت طبق الخبز والزبدة فوق الصينية وقالت:

- إذهب واجلس قرب النار وتناول قهوتك. لن أتأخر دقيقة.

وأعاد لها الصينية ضاحكاً:

- هذا صحيح.. لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة، أنا جاهز للخروج ومبلل سلفاً.

وتناول المكنسة، وتقدم نحو الباب.. وعاد بعد خمس دقائق وخلع معطفه السميك، وفرك يديه ليعيد إليهما الدم، فجرّت له جوانا كرسياً قديماً مريحاً إلى قرب النار، ثم صبت له القهوة.

وتناول السندويش ليلتهمه بشراهة ويقول بفم ممتلىء:

ـ لقد كنت لطيفة معي.

ـ وأنت كذلك. حول الأولاد وكل شيء.. وأنا مدينة لك.

ونظرت إليه نظرة أملت أن تكون جميلة.. سوف تطلب منه مسامحة الأطفال. ولكن ثبت أن طريقتها غير ناجحة.

وأجابها بنظرة متساءلة:

ـ أجل.. أنت مدينة لي.. أليس كذلك؟

الفصل الثالث

ساد صمت حاد حاولت جوانا خلاله التفكير في رد مناسب، ولكنها في النهاية تخلت عن المحاولة. وقالت بنزق:

ـ لا حاجة لك لأن تبدو سعيداً هكذا بما تقول. فقد يظن الناس أنك ترحب بمن يتلف لك أغراضك وأثاثك.

وفكر بما قالت، وعيناه نصف مضمضتين.

ـ لا.. لا أظن بالأمكان قول هذا.. فأنا لا «أرحب» بالضبط، ولكنني لا أعارض أن تكوني مدينة لي.

ـ ولماذا؟

وبدا أنه يزن رده. ومدد جسده براحة في المقعد القديم، وأغمض عينيه، وتساءلت ما إذا كان قد نام تحت تأثير الدفء وأسئلتها المربكة:

وعندما تكلم في النهاية كان كلامه لا علاقة له بسؤالها:

ـ هذه غرفة مريحة جداً.

ـ شكراً لك.. لماذا تريديني مدينة لك؟

فابتسم متراخياً:

www.rewity.com

ـ مجرد نوع من التكتيك.

ـ تكتيك؟ أتمنى أن تتوقف عن التهديدات المبطنة، وتخبرني بما تفكر بصراحة.

فتنهد:

ـ كنت أشعر بالارتياح.. أحذرك أن هذا لن يعجبك.. هل سترميني إلى الخارج لحظة سماع ما سأقول؟

وبدا ساذجاً في إمساكه بفنجان القهوة بين يديه وضمه إلى صدره حتى وجدت جوانا نفسها تميل إلى المرح ثانية، وتبدأ بالضحك:

ـ ممكن جداً. وهل تريد ضمانة قبل أن تبدأ؟ حسناً.. إذا أخبرتني الحقيقة لن أغضب منك.

فتمتم متعمداً أثارتها:

ـ اوه.. ولكن هل أستطيع الأعتماد على كلمتك؟

ـ أظن هذا.. إذا كان الطفلان لم يدفعاني لفقدان أعصابي والأخلال بوعدي بالهدوء فلا أظن أنك ستؤثر بي كثيراً.

فرد عليها ساخراً:

ـ إنها فكرة مطمئنة.

ووضع فنجانه من يده، وعلى الرغم من إنه كان يبتسم، فلقد ظنت أن بإمكانها كشف عدة تعبيرات غير مريحة على وجهه..

ـ أول كل شيء، الأفضل أن أقدم نفسي.

ـ ولكنني أعرف أسمك.

ـ وهل هذا يكفي؟

فهزت رأسها:

ـ إلا إذا رغبت في إظهار رخصة قيادك أو شارتك البوليسية أو أي شيء من هذا.

ـ ماذا؟

ـ أو بطاقة المخابرات الخاصة بك.

ـ أنت مجنونة.. لقد عرفت هذا.

ـ لا.. لا.. حتى ولو كنت فهو نوع من الجنون يشاركني الكثيرون فيه. أنا آسفة، فالسيد هوب، أنت تعرفه، يقول أنك لست كما تبدو. ويظن أنك عميل سري، ولكنه لم يقرر في أي جهة أنت.

ـ وأنت تظنين أنني عميل سري محلي.. لماذا؟

ـ حسناً، لم تبدو لي أنك قادم من أصقاع روسيا

ـ إنه منطق مخطيء يا صغيرتي فربما أكون جاسوساً للـ «كي جي بي» السوفياتية.. ولا يمكنك الحكم بالمظاهر.

ـ لم أفكر بهذا.

ـ حسناً فكري به المرة القادمة.. هل هناك المزيد من القهوة؟

ـ لست أدري إذا كانت لا زالت ساخنة.. هل جئت إلى عندي كي تعترف بأنك جاسوس دولي؟

ـ هل تصدقيني إذا قلت لك «نعم»؟

ـ ليس لدي سبب لعدم تصديقك. لذا، أستطيع القول نعم أصدقك.

ـ أنت تغريني.. فعلاً.. ولكنني لا أستطيع الكذب على بريئة ساذجة مثلك.. أنا خبير بترول.. لا أكثر ولا أقل.

وفكرت جوانا بردة فعل وصوله إلى القرية على أهلها، وكبحت ضحكة، وأقنعت نفسها بالأعتدال:

ـ لا أصدق هذا.

ـ أؤكد لك.. لقد أمضيت معظم أيامي في الخارج، أدرس الخرائط، وأنفذ الخطط.

www.rewity.com

ـ أين؟

ـ في الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا. كنت أبني مواقع حفر البترول هناك.

ـ ولكن هذا ما يعمل به أخي.. إنه يعمل لمؤسسة كبيرة في أوستراليا مع إنه لم يحصل على شهادات.

ـ نحن ندعوهم «مستشارين» واعلم ما حصل لريتشارد، لقد...

ـ هل التقيت به؟

ـ عملت معه. في الواقع عملت معه في اوستراليا.. وفي الواقع أقمت معه ومع لودي قبل مقتلها.

ـ صحيح؟ ولكن لماذا لم تقل هذا على الفور؟ وما هي الظروف التي أوصلتك إلى هنا؟.. لم تكن صدفة، أليس كذلك؟

ـ أخشى أن لا تكون صدفة.

فوقفت وتقدمت من النافذة تحدق إلى الخارج نحو عتمة الحديقة. وأحست بقشعريرة برد تجتاح جسدها، وجفاف في حلقها.. لا بد أنه قد أتى ليبلغها أن عليها إرسال الأطفال إلى جدهم. وأن ريتشارد قد قرر لهما مستقبلهما، وهو والدهما. وتذكرت طفولتها معه، فهو لم يستخدم أبداً الورق لتحرير أوامره.. بل كان يرسل من يملي التعليمات كي يقلب حياة الجميع رأساً على عقب. وقالت بصوت بارد:

ـ تابع كلامك.

ـ الأفضل أن تعودي للجلوس. فالأمر ليس سهلاً.

ـ ألهذا أخرت قوله لي، إلى كم؟ ثلاثة أسابيع؟ ألم تستطع مواجهتي من قبل؟

ـ حسناً، أنا لم أتلق استقبالاً حماسياً في البداية. حتى وقبل أن تعرفي

من أنا.. أنظري، بإمكاننا التفتيش عن حل فلا تنزعجي.

ـ لست منزعجة. أظن أن ريتشارد طلب منك أن توصل الأولاد إلى جدهم. وليس لدي ما أقول سوى أنني لن أفعل شيئاً قبل أن أكتب له. هل أنا واضحة في كلامي؟ والآن.. أرجوا أن تذهب من هنا.

فتجاهل كلامها وأمسك بيديها ليجبرها على الجلوس، وقال بلطف:

ـ توقفي عن الارتجاف. فريتشارد لم يكلفني بشيء. ولو فعل فلن أوافق. فتوقفي عن تعذيب نفسك.. ما الذي أعطاك مثل هذه الفكرة؟

ـ ألن.. تأخذهما.. ولكن.. ريتشارد قال.. أعني.. لقد وصلتني رسالة منه...

ـ إذن لا بد إنه شرح لك.

ـ لا.. لقد.. كانت رسالة غامضة.. وفهمت منها إنه يريد أن يعيد الأولاد إلى أهل لودي. اشتكى من مدرسة القرية، وقال أن بوب بحاجة إلى استقرار في حياته. فماذا يمكن أن أفكر غير هذا؟

ـ وهل قال هذا؟ أستطيع إذن فهم ارتباكك. يبدو أن ريتشارد ليس أفضل مني في شرح ما يريد. ولقد أعطاني رسالة أوصلها لك وأرجوا أن يكون قد شرح لك فيها بشكل أفضل. ولكن من الأفضل أن أعطيك شرحاً مبسطاً أولا، فعلى الأقل ستتوقفي عن القفز إلى الظن السيء.

وعاد نحو المدفأة ووقف، ويداه وراء ظهره يحدق باللهب:

ـ لست أدري كيف أبدأ. يبدو الأمر مهيناً.. أترين.. ريتشارد قلق على الأولاد. ولقد أجروا عليه في المستشفى العديد من الفحوصات والتجارب، وسيقومون بالمزيد. وهو ليس ملازماً للفراش طوال الوقت. ولكنه ببساطة لم يتخلص بعد من تلك الإصابة والأطباء لم يعرفوا ما هي.

ومن الواضح إنه مرتبك جداً لعدم تقدم حالته.. لذا طُلب مني أن أذهب لأقابله.

وحدقت به. فتنفس عميقاً وتابع:

ـ لقد كان ثائر الأعصاب.. وقال أن شيئاً ما يجب أن يتم لأجل الأولاد وبشكل دائم، ولا يمكن أن يعيشا ضيفين مؤقتين معك. ولا يظن أن هذا إنصاف لك، بين أشياء أخرى. لذا.. اقترح أن.. يريدهم الذهاب إلى مدرسة بعيدة.

ـ بعيدة؟ أتعني مدرسة داخلية؟ كلاهما؟ ولكنهما صغيرين جداً. وسيكرهانها.. اوه.. لا يمكنه فعل هذا! وأنت لا تستطيع كذلك؟ لن أسمح لك، سأرسل برقية لريتشارد.. وسأقابل المحامي في الغد. لن تستطيع...

فرد عليها بهدوء:

ـ بل أستطيع.. أو بالأحرى، أستطيع إذا حكمت على الموضوع بشكل صحيح. فلقد عينني ريتشارد وصياً عليهما في غيابه. ولقد عرضت الوكالة على مكتب محاماة حال أن وصلت إلى كندا... ولهذا السبب لم أكلمك بالأمر من قبل. لقد أردت معرفة موقفينا القانونيين. ويقول المحامي أن معك قضية محقة إذا أردت المقاتلة لأجلها.. فالمحاكم عادة تتعاطف مع النساء اللواتي سيفترقن عن حملانهم الصغار.

وقالت هامسة:

ـ لا تجرؤ مرة ثانية على السخرية مني!

ـ لست أسخر.. والله يعلم! ولا ألومك على شعورك بالحرارة. أردت فقط أن أقول لك أنك لست عاجزة تماماً. ولديك قدرة على المقاومة إذا رغبتي. ولكن، كما قيل لي، العملية بطيئة ومكلفة.. وسيكون الأفضل للجميع، وخاصة للطفلين، لو اتفقنا على ترتيبات معينة.

ووجدت نفسها راغبة في البكاء. فأدارت ظهرها له، تبحث عن منديل:

ـ أي نوع من الترتيبات؟

فضحك:

ـ لست أرى فائدة في بحث الأمر الليلة، فلست في مزاج يسمح لك بالموافقة على أي شيء.. فلنترك الأمر إلى الغد.. سأجيء لأراك.

ـ لا أريد أن أراك ثانية.

ـ أنا واثق من هذا، ولكنه ليس مهم.. أليس كذلك؟ سأترك لك رسالة ريتشارد.

وأعطاها الرسالة. ولكنها بقيت مديرة ظهرها إليه. فتنهد ووضعها على ذراع المقعد فقالت بحرارة:

ـ الصدف! أنني لا أؤمن بها.. وماذا عن زجاجات الحليب؟ أراهن أنك كسرتها بنفسك لتجد عذراً بالدخول إلى هنا... والمنزل.. كيف اشتريت ذلك المنزل؟

ـ قصر دراكولا؟

ـ لا تسميه هكذا، إنه منزل جميل.

ـ ولكنه قديم.. اوه.. هيا.. لن نختلف من أجل منزل.

ـ إنه منزل قديم جميل. ولكنني أعتقد أن نوعه لا يعجبك.

ـ لقد كان هكذا، وهو الآن، خرابة».. إنه قذر ومليء بالجرذان.

ـ ولماذا اشتريته إذن؟

ـ إنه يناسب روحي الرومانسية.

ـ لقد اشتريته لتتجسس علي. أليس كذلك؟ هل دفع ريتشارد ثمنه؟

وتقدم منها ليديرها إليه بحدة، وقال متجهماً:

ـ هذا يكفي.. لقد تسامحت بما فيه الكفاية مع صدمتك الطبيعية...

وشاهد الدموع تترقرق في عينيها، فقال بلهجة أكثر اعتدالاً:

ـ كنت بحاجة إلى منزل. فليس لدي أية روابط في كندا وبدا لي قصر دراكولا هذا مكاناً مناسباً. ومن الطبيعي أن أرغب في أن أكون قرب الأولاد.. طالما أنا مسؤول عنهما.

ـ لست مسؤولاً عنهما:

ـ قانوناً أنا مسؤول، ومالياً أنا مسؤول... فلقد أرصدت الأموال لمستقبلهما وأنا الأمين عليها.

وللحظات حدقت في وجهه الهادىء دون قدرة على الكلام. وبدا من وراء نظارته أنه يضحك منها. فتراجعت خطوة وأطلقت يدها نحوه بضربة قوية، فآلمتها يدها وأمسكتها بالأخرى. وأحست بالذعر وهي تنتظر الرد... وقال لها بهدوء وسيطرة غريبة على أعصابه:

ـ أنت متكدرة.. وسأتركك الآن، ولكن إذا حاولتي فعل هذا ثانية، فسأرد عليك بكل اهتمام.

فتراجعت خائفة إلى الوراء، وقالت بفزع:

ـ أنا واثقة أنك ستفعل. ولكنني لن أفعل هذا ثانية.. أنني آسفة.. لقد نسيت نفسي.

فابتسم لها:

ـ وأنا كذلك. لا بأس. أنا واثق أنني أستحق الصفعة.. فلنقل أننا تساوينا ونبدأ من جديد. ألا يمكن أن نكون أصدقاء؟

ـ صعب.

ودون أن تتوقع أخذ وجهها بين يديه، وقال:

ـ أتعلمين أنك مشاكسة.. وريتشارد قال لي أنك رقيقة ناعمة لن تسبب لي المشاكل.. إنه أساء تقديرك تماماً.

ـ أتمنى هذا. فلدي كل نية أن أسبب لك القدر الأكبر من المشاكل.

ـ أصدقك تماماً. حسناً.. وداعاً الآن.

وانحنى ليقبلها.. فاجتاحها الذهول المبسط. فوقفت مندوخة.. ثم سمعت الباب الأمامي للمنزل يغلق بهدوء خلفه.

للحظات ضاعت المسألة الأكبر في المسألة المستجدة الأصغر وهي تجلس لتفكر. فكيف يجرؤ في أن يقبلها هكذا وكأنه بحاجة لأن يجعلها تطمئن؟

ومدت يدها إلى الرسالة، ففتحتها، وبدا لها أن مجرد فتحها للرسالة هو دليل ضعف. وأحست أنها أصبحت مشاركة في مؤامرة ريتشارد.. وكتب لها ريتشارد بعاطفة جياشة، ولكن كالعادة دون رابط. أول شيء ذكر لها عن حالته، ومرت على هذا مرور الكرام. ثم ركز ثانية على انتقاد ضعفها وانتقاد مدرسة القرية وهذا ما أوصله إلى صلب الموضوع. وفي جملتين قصيرتين، عرض لمستقبل الطفلين ووضعهما مع عمتهما تحت رعاية برايان تورنيول.. والأمضاء أخاها المحب، وهذا كل شيء.

وتركت الرسالة تقع من يدها. ووضعت رأسها بين يديها.. ماذا ستفعل؟ وإلى من تلجأ للنصيحة إذا لم يكن لشيء آخر؟

لا بد أن محاميها سيؤكد ما قاله برايان.. والسيدة بدفورد ستستمع إليها بحماس ولكن لن تستطيع فعل شيء. وآرثر.. إنه فاتن وأهل للثقة عندما يكون لديه وقت ولكن نصيحته لن يكون لها طبيعة مؤثرة. وأخذت أحزانها معها إلى الفراش، ونتيجة لها بالكاد استطاعت أن تنام.

لما تبقى من الأسبوع بقيت مشغولة تحضر حسابات المزرعة للبريغادير بدفورد، وعندما لم تكن تطبع له البيانات كانت تجول في المزرعة تجمع أرقام التكاليف وتقديرات الأنتاج من مدير المزرعة ومساعديه.. لذا لم تتح لها الفرصة لأن تقص ما حدث لأحد.

ولكن مهما استطاع عملها أن يمتص تفكيرها خلال ساعات الصحو، فهي لم تستطع أن تسيطر على هذه الأفكار وهي ترتاح، فأمضت ساعات لا عدّ لها مستيقظة تشعر بالبرد، تدير في رأسها العديد من الخيارات. . . بإمكانها اللجوء إلى القضاء. . بإمكانها الهرب مع الأولاد. . ولكن القضاء مكلف وغير مؤكد النتيجة، وإذا هربت فلا بد أن أحداً سيجدها. أنها عاجزة عن فعل أي شيء، وهي تعرف هذا. وحاولت أن تفكر بمنطق: ربما سيكون الأولاد أحسن حالاً في مدرسة داخلية مع أتراب من عمرهما. ولكنها تعرف تماماً كم انزعجا من غياب والدهما المطول وموت أمهما، ولن يصدقا هذا. . هذا المنزل الريفي وعمتهما جوانا يمثلان الأمان الوحيد الذي يعرفاه. وسيكون من الظلم إبعادهما.

وشحب لونها بشكل ظاهر. . وما أن حل مساء الجمعة حتى أصبحت عيناها حفرتين سوداوين في وجهها، وقالت لها ايزابيل بدفورد وقد ظهر عليها القلق:

ـ جوانا! عزيزتي! مابك؟

ـ ماذا. . آه مرحباً. . أنا آسفة. . لقد كان تفكيري بعيداً. .

ـ لقد كان في القطب الشمالي. . هل أثرت فيك مصائب جاك المالية أهذا هو السبب؟

ـ لا بالطبع. .

ـ هذا جيد، لا يجب عليك أن تتأثري بها. . فحتى لو اضطررنا لبيع المزرعة، فالحياة ستستمر. ورغم أن جاك لا يشعر بالأمر، ولكنه سيكون سعيداً في العيش في منزل ريفي بسيط ليزرع خضاره بنفسه. . المزارع تعتمد على الآلات كثيراً في هذه الأيام. . وكل سعادة المزارع ذهبت مع هذه الآلات. لذا لا لزوم لانزعاجك.

ونظرت إليها جوانا بمحبة، وهي تعلم جيداً أن خسارة المزرعة ستكون

مأساة كبيرة لها. وقالت:

ـ أنا لست منزعجة.

ـ فلماذا التجهم إذن؟ هذا ليس من عادتك. . عندما دخلت عليك الآن وجدت أن وجهك، ما كان يسميه جدي، بوجه يرعب الشيطان. هل أنت تعبة؟ أم أن السبب طقس الخريف؟

ـ كلاهما.

ـ ما أنت بحاجة إليه هو بعض الهواء النقي. . فأنت لا تتنزهين بما فيه الكفاية.

ـ الطقس لا يناسب.

ـ لا تتحججي. . الهواء يبقى هواء، حتى ولو كان بارداً قليلاً ومرطباً، في مثل هذا الوقت من السنة. ألم تعودي تركبين الخيل في هذه الأيام؟

وتنهدت جوانا، فعلى الرغم من أنها ليست فارسة ماهرة، فقد كانت تتمتع بركوب الخيل. وقبل أن يصل الأولاد للسكن معها كانت دائماً تستأجر جواداً من القرية وتخرج في نزهة إلى التلال. فيكي دوبلن، صديقة طفولتها ومديرة مدرسة الفروسية الآن، كانت تخرج معها أحياناً برفقة زوجها وينضم إليهم آرثر بدفورد. . ولقد توقف كل هذا بسبب الأولاد. وقالت ايزابيل بإصرار:

ـ هل توقفت عن ركب الخيل؟

ـ اوه. . في الواقع لا وقت لدي. على كل الأسطبلات مشغولة جداً هذه الأيام وأشك أن في استطاعة فيك أن تؤجرني جواداً لأكثر من ساعة. ولا أحب أن تكون نزهتي قصيرة، فعندما أركب الخيل أريد أن أبتعد.

ـ لا يهمني ما تقولينه، كل ما أعرفه أن عليك الخروج، ولو لبضع ساعات. سأقول لآرثر ليهتم بهذا.

فقالت جوانا: بحزم:

ـ لا.. شكراً لك.

ـ ولكن إذا كان شخص آخر سيخرج معك سيكون الأمر مختلفاً.. ألا تفهمين؟ إذا كان آرثر ينتظرك ستضطري للذهاب.

ـ أجل.. وقد يكون هذا أمر غير مناسب. أو لم يبدر إلى ذهنك إنه قد يكون مشغولاً بأشياء أخرى؟ حتى إنه قد لا يرغب في الخروج معي.

ـ هراء.. سيفيده الخروج أيضاً. لقد بدا لي متوتراً آخر مرة. ربما بسبب الطاهي الجديد. هل شاهدته؟

ـ لا.. بل شاهدت الساقية. لقد قال آرثر إنهما عملا معاً. إنها جميلة هل هي زوجته؟

ـ يا للسماء.. لا. إنها ليست ساقية حقاً. إنها ممثلة.. آرثر أخبرني. وهي شقيقة الطاهي. وهو يقول إنها أنهت عقدها الصيفي ولم تحصل على عمل جديد. لذا أتت إلى أخيها ليعيلها، ووظفها آرثر كساقية. ذلك الشاب له قلب من ذهب. لا قلب له أن يرفض طلب أحد.

ـ إنه بحاجة لساقية.. وهي جميلة جداً. بل أكثر من جميلة.

ـ هراء..! إنها تبدو كدمية خرافية مزخرفة على شجرة الميلاد. مَن مثلها لا شيء حقيقي فيه.

ـ أنت حقاً لا تحبينها أليس كذلك؟

ـ لست أهتم. ولكنني أعلم أن آرثر غبي. لقد ذهبنا لنتعشى هناك ليلة أمس. لهذا يبدو جاك المسكين منزعجاً، فهو ليس متعوداً على طعام المطاعم.

ـ ولماذا وافق المسكين على الذهاب؟

ـ لأنني قلت أن آرثر سيغضب إذا لم نفعل. ولكن الحقيقة أنني أردت

رؤيتها، فجواسيسي قالوا لي أن هناك إمرأة رائعة الجمال هناك.. وآرثر مفتون بها ولكنه دائماً يقع في حبائل المرأة غير المناسبة.

ـ كوني صادقة.. من هي في نظرك المناسبة له؟

ـ اوه.. لست أدري. فتاة لم يجدها بعد. وليس إحدى فتيات المدينة اللواتي هو معجب بهن. فتاة تعرف عن حياة القرية والمزارع وتكون سعيدة للعيش هنا معه.

ـ لا أعني أن أكون فظة يا ايزابيل، ولكن لدي عمل كثير.. هل جئت لتريني لأجل شيء محدد، أم لمجرد تبادل الحديث؟

ـ كلاهما.

ووضعت جوانا ورقة جديدة في الآلة الطابعة، وانتظرت، ثم قالت:

ـ حسناً؟

ـ الأمر صعب قليلاً. أريد الحديث عن مشروعي.

ـ آه.. أجل..

ـ أعلم أنني قلت لك أنني لا أريد مشاركتك في تنظيمه.. وكنت أعني ما أقول.. ساعتها.

ـ ساعتها..! ولكنك الآن غيرت رأيك. ماذا تريديني بالضبط أن أفعل؟.

ـ الحقيقة، أريدك أن تمدي يد المساعدة لي... فذلك الرجل المتوحش الذي في العزبة لا يتواجد أبداً. وعندما تكلمت معه أخيراً في الهاتف قال أن بإمكاني الذهاب إلى عنده في الغد. ولكنه لم يبدو مرحباً..

ـ ولن يكون.

ـ في الواقع بدا عدائياً. وبإمكاني الذهاب لوحدي.. فقد دعاني..

ولكنني أفضل كثيراً أن يكون معي رفقة.

- أنا؟ اوه.. ايزابيل.. لا!

- ولكنك تعرفينه. وتحدثت معه.

فضحكت جوانا.

- لقد تحدثت معه بالفعل، وهو دون سؤال أكثر رجل مزعج متعجرف قابلته في حياتي!

- إذن لا يمكنك تركي أذهب لوحدي..

- أنت معتادة على مثل هذه الزيارات ايزابيل. فاستخدمي سحرك وقوة إقناعك عليه.

- لا أظن أنني قد أجرؤ.. أنه يبدو..

- بغيضاً؟

- ليس بالضبط.. ولن أقول أنه يبدو شريراً. لقد شاهدته ليلة أمس في المطعم.. وهو يبدو متمدناً. ولكنه فقط يبدو متعجرفاً قليلاً. أظن أن كلمة «مدني» أكثر مناسبة له، إنه من النوع الذي يجلس لينهي كل شيء على الهاتف.. إنه من النوع الذي لا يجرؤ أحد أن يقول له لا.

فضحكت جوانا:

- أظن أن هذا من صنع الله.. مثل الهزات الأرضية. وأنا واثقة أن رجال البترول لا يهتمون بأشخاص محددين، فالجميع سواء لديهم.

- هذا لأن ليس لك الخيال الكافي.. لو أنك تنظرين إليه من وجهة نظري فستعرفي أن لديه هالة مميزة، وأنا حساسة جداً مع أمثاله.

- في هذه الحالة لمَ لا تكتبي له رسالة ولا تقابليه.. هالة لهالة؟

- لأنه سيقول «لا» اوه أرجوك تعالي معي. لا تقولي شيئاً، سأتحدث بنفسي. ولكنني سأكون مرتاحة لوجودك معي. وأنت مثالية، حساسة..

ومهما كان لا يعجبك.. فأنك لست مدينة له بشيء.

وتوجهت نحو الباب وجوانا تراقبها يائسة. وتابعت:

- سآخذك بعد الغداء في الغد.. وأنا شاكرة لك سلفاً. أعلم أن الأمر يبدو سخيفاً.. ولكنني فعلاً أحس بالخوف منه.

وأغلقت الباب بلطف وراءها، وجلست جوانا تحدق بالباب برعب.. وقالت لنفسها:

- أما أنا فلست أخافه.. فليساعدني الله.. ألست خائفة منه أيضاً.

www.rewity.com

الفصل الرابع

لو أن جوانا نامت القليل خلال البضع ليال الأخيرة، فإنها تلك الليلة لم تنم مطلقاً. وفي الثالثة والنصف فجراً تخلت عن صراعها غير المتكافي مع النوم ونزلت إلى الطابق الأرضي. وكانت آخر بضع جمرات لا زالت تتقد في المدفأة، فأضافت بضع حطبات لها، ونفخت في الجمر حتى اشتعلت السنة النار.

وصنعت لنفسها قليلاً من الشوكولا الساخنة وجلست ترتشفها قرب النار، محاولة أن تقرر، ماذا ستقول لبرايان تورنيول، فقد وعد بالمجيء لرؤيتها ولكنه لم يفعل. ولم تقتنع بأن تقتحم بيته بمعية ايزابيل بدفورد.. وصرّت على أسنانها تحاول التفكير بطريقة للخلاص من المأزق. ولكن دون أن تصيب النجاح، وأخيراً استغرقت في نوم غير سوي، متكورة على الأريكة ورأسها محني على ذراعها.

وبهذه الوضعية وجدها الولدان المذعوران في الصباح التالي. وهزها بوب مرتعداً:

- جوانا.. جوانا! ما بك؟

فأجفلت متألمة، فنومها لم يكن مريحاً مطلقاً، وأضافت في غرفة باردة تشعر بالمرارة وأطرافها مخدرة. ولكنها أحست بخوفها فاستجابت

معهما رغم حالتها المزرية:

- لم أستطع تذكر ما إذا كنت قد وضعت حاجز الوقاية أمام النار فنزلت لأرى ونمت هنا، هذا كل شيء. كم الوقت الآن؟

- الوقت متأخر، لقد استفقنا منذ وقت طويل.

ويقي بوب مرتاباً فسألها:

- لماذا لم تضعي الحاجز وتعودي إلى سريرك؟

- لماذا..؟ اوه.. أعتقد أنني كنت تعبة. فجلست لأرتاح وغفوت.

- ولكن لماذا...؟

- اوه بوب. أرجوك أنسي الأمر. لا يهم لماذا. لقد كنت تعبة ونمت، وها قد تأخرنا على الفطار.

وبقي الطفلان قربها وهي تنهض متألمة وتذهب إلى المطبخ.. وتناولوا الفطار بصمت كامل. وجاء ساعي البريد، وتناول معهم الشاي وعلق على وجوههم المتجهمة، ثم ذهب. ورفض الولدان الخروج من المنزل، مع أن النهار كان جميلاً ومشرقاً. وجلسا جنباً إلى جنب قرب النار.. وسرّت جوانا لأنشغالهما بحل لغز لتكمل عملها المنزلي، ولكن ما أن رن جرس الهاتف حتى وقفا على جانبيها، ينظران بفضول إلى السماعة وكأنهما يستطيعان رؤية وجه المتكلم. وكان المتكلم ايزابيل بدفورد، فتركاها وعادا قرب النار ليتابعا اللعب. وقالت ايزابيل:

- بعد ظهر هذا اليوم.

- أجل؟

- هل يمكن أن نستخدم سيارتك؟ لقد تعطلت السيارة الصغيرة وأنا أكره قيادة الكبيرة.

فتنهدت جوانا:

ـ حسناً.. في أي وقت؟

ـ بعد الغداء مباشرة.. وقبل أن أفقد شجاعتي.

ـ لا تكوني سخيفة.. سوف أتأخر، فقد نمت حتى وقت متأخر، وتأخرت في العمل المنزلي، والأولاد لن يتناولا الغداء حتى الساعة الثالثة على الأقل. فلنقل عند الرابعة.. سأجيء لأصطحبك.

ـ اوه.. حسن جداً. ولكن لا تلوميني إذا اضطررنا للتناول الشاي عنده.

وصلت إلى بوابة المزرعة، وأوقفت سيارتها القديمة أمام الباب. ومرت بأقرب طريق! عبر المكتب ثم باحة الأسطبل فعبر باب المطبخ. الأسطبلات هذه الأيام فارغة إلا من بضع دجاجات تزود آل بدفورد وآل راينهارت بالبيض. وللحظات وقفت تنظر حولها في الباحة الخالية.. في بعد ظهر أيام الخريف المعتمة كانت تبدو الباحة مخيفة وأحست جوانا بالأرتجاف.

ـ جوانا! لا تقفي هكذا هناك وإلا تجمدت من البرد، أدخلي.

ـ آسفة.. هل أنت جاهزة؟

ـ أجل.. إصعدي إلى هنا لدقيقة فقط. أريد نصيحة منك.

ـ حول ماذا؟

ـ لست واثقة من ملائمة هذا الشال.

ـ هيا يا ايزابيل.. أين شجاعتك!

ـ لست أدري ما تعنين..

ـ بل تعرفين.. أنت تحاولين التأخر، ولن أبقى في الداخل لأجل عرض أزياء. أنت من رغبتي في الحديث مع الغول. وأنت من تواعدت معه. ولقد حصلت لنفسك على سائق، ولا يمكن أن تتجابني الآن.

ـ أوه.. حسن جداً.. أنت فتاة عنيدة يا جوانا.

بعد دقيقتين ظهرت في المطبخ، تبدو بأبهى أناقتها ببذلة رائعة لها شال مربوط عند العنق، وقالت:

ـ حسناً لنذهب وننهي الأمر. ولكنني أحذرك.. أنا خائفة.

بعد نصف ساعة كانت تعتذر لمضيفها لجلبها معها رفيقة غير مدعوة، شارحة أن سيارتها تعطلت وأن جوانا كانت لطيفة جداً في إيصالها.. ولم يبدو على برايان تورنيول أي اكتراث.

وتابعت ايزابيل:

ـ ولكنك بالطبع التقيت بجوانا.

ـ بالطبع كيف حالك آنسة راينهارت.. ألا تتفضلان بالدخول؟

أخشى أن يكون المنزل لا يزال دون ترتيب، ولكن هناك نار مشتعلة في المدفئة داخل المكتبة. وهذا كل ما أحتاجه في هذا الطقس، أليس كذلك؟

وفتح لهما باب المكتبة، ونظر بسرعة إلى جوانا وهي تمر من أمامه..

ـ حسناً سيده بدفورد، بما أنك وجدتني الآن، ماذا أستطيع فعله لك؟

وتلبكت ايزابيل من سؤاله المفاجيء، فقد كانت تفضل أن تتظاهر بأن زيارتها ودية قبل أن تخوض في أسبابها، فأجابت بعد قليل من الصمت لتستعيد أنفاسها:

ـ من الصعب قليلاً أن أشرح لك. ولا أعتقد أن الأمر سيعني الكثير لك إلا إذا كنت تعرف شيئاً عن تاريخنا المحلي.

ـ لا أعرف عنه شيئاً.

ـ اوه.. حسناً.

ونظرت إلى جوانا علها تساعدها.. ولم يكن من طبيعتها أن ترفض، فقالت:

ـ هناك طريق أثرية قديمة تعود لسكان البلد الأصليين، أو على الأقل كانت. وهي الآن تمر عبر حقلين تملكهما شركة خاصة ترفض الأعتراف بالحق العام للمرور عبرها. ورفعنا الأمر للمحاكم، وفعلنا ما بوسعنا، ولكن من المكلف أن نرفع هذا إلى محاكم أعلى.. ورأينا أن أفضل ما تفعله هو شراء هذين الحقلين.

ـ أفهم هذا.. ولكن ما دخل هذا بي؟ فأنا لا أملك أية أرض على تلك التلة.

وقالت ايزابيل:

ـ لك علاقة بالتمويل.

ـ آه.. فهمت.. سأكون سعيداً للمساهمة.. سأحضر دفتر شيكاتي..

ـ لأجل السماء.. نحن لا نطلب المال.

فنظر إلى جوانا، ثم إلى ايزابيل:

ـ لا تريدون مالاً؟ ماذا تريدون إذاً؟

ـ نريد منزلك.

ـ منزلي؟

وأحست جوانا بقليل من التفوق، فأجابت بهدوء:

ـ السيدة بدفورد تفكر أن بإمكانها جمع المال اللازم لشراء الحقلين، بتقديم حفل عام هنا.. بما إنه أعتق بيت في القرية.

ـ هنا؟ إنه عتيق فعلاً، ويطقطق طوال الوقت حول آذاننا. وبالكاد يكون قريباً من عمر تلك الطريق الهندية القديمة.. وما نوع ذلك الحقل؟

فأجابت ايزابيل:

ـ اوه.. حفل تنكري.

وساعدتها جوانا:

ـ قليل من الغناء، فالكاهن لديه مجموعة كورس جيدة.. وربما يقدم الأولاد تمثيلية إذا كان الحفل وقت الميلاد، وقد يهتم بعض هواة التمثيل، ولهم جمعية هنا، بتقديم عرض أو إثنين...

ولاحظت جوانا وهي تتكلم تصاعد الذعر في وجهة، وكان صعباً عليها منع نفسها من الضحك. ولكن ايزابيل لم تلاحظ ذلك وتابعت في سرد خيالاتها بينما وقف هو مسمراً في أرضه، غير قادر على إزاحة نظره عنها. وأنهت ايزابيل كلامها بلهجة انتصار:

ـ ثم أن جوانا تلعب على القيثارة.

فأغمض برايان عينيه، وقد أحس بالقشعريرة، ثم فتحهما ليحدق بذهول في جوانا التي ردت النظرة بكل براءة. وتابعت ايزابيل وهي تصفق بيديها:

ـ والآن سيد تورنيول.. ما رأيك؟

وساد صمت مطبق، بدا خلاله أنه ينتقي كلمات رده:

ـ رأيي.. أن هذه.. فكرة تأسر الأهتمام.. ولكن.. كما ترين.. ليس هناك مكان حتى لي هنا في الوقت الحاضر. فما بالك بأولاد المدرسة، وكورس الكنيسة، والممثلون الهواة.. و.. والجمهور.

فسارعت ايزابيل تطمئنه:

ـ سنأتي جميعاً لنساعدك في تحضير المكان، بالطبع، أليس كذلك يا جوانا؟

وبدا عليه الأنزعاج:

ـ أنت لطيفة جداً. ولكن لدي ما يكفيني من مساعدة.. الأمر ليس مسألة تنظيف وتعليق ستائر.. فهناك تغييرات وترميمات يجب أن تتم.

ـ قبل الميلاد؟

www.rewity.com

ـ حسناً.. لا.. لا أعتقد.

ـ إذن ليس هناك سبب يمنعنا من استخدام المنزل قبل الميلاد شرط أن نرتبه.. أعني أننا بهذه الطريقة لن نتلف لك الديكور الجديد أو أي شيء آخر.

ـ أعتقد أن هذا صحيح.

وفتح باب المكتبة، فالتفت قائلاً:

ـ اوه.. ها قد وصلت المساعدة التي تكلمت عنها، وأظن أنها ستدخل لنا الشاي.. أتمنى أن تكوني تحبين الشاي سيدة بدفورد؟

وانفتح الباب كاملاً، وظهرت منه فتاة، تحمل صينية كبيرة ومليئة. وتقدم برايان ليأخذها منها، وقال:

ـ لا لزوم لأن تخدمينا.. لقد فعلت ما هو كفاية وبحسب مقدرتك المهنية.

وكانت الفتاة سامنثا بريكس، وشعرها الجميع معقوص إلى الخلف ليكشف عن رقبتها الجميلة، وظهر بعض الغبار على خدها، مما يظهر إنها كانت فعلاً تساعده في الأعمال المنزلية. وقالت وهو يأخذ الصينية منها:

ـ شكراً لك.. مساء الخير سيدة بدفورد.. مرحباً جوانا. أتمنى أن تكونا تحبان كعك الجوز مع الزنجبيل.

وضحكت له بطريقة مثيرة حتى أن ايزابيل نظرت بدهشة إلى جوانا:

ـ هل يعلم آرثر أنك هنا؟

وبدت الدهشة على سامنثا:

ـ لست أدري.. وهل هذا مهم؟ فأنا لا أبدأ العمل عنده حتى السابعة مساء.. وأنت تعرفين.

فتمتمت ايزابيل..

ـ اوه.. لا.. بالطبع.. سامحيني.

وناولها برايان فنجان الشاي.

ـ لقد كانت سامنثا تحضر إلى هنا كثيراً.. إنها حقاً لطيفة. فأنا لا أبقى هنا كثيراً.. وهي تحتفظ بالمفتاح وتدخل العمال متى كنت غائباً.

فقالت ايزابيل بلهجة مدروسة:

ـ أنت محظوظ لأن عندها وظيفة ملائمة.

ـ ألست محظوظاً؟

وصبت سامنثا الشاي لجوانا وأعطتها الفنجان وهي تضحك:

ـ اوه.. إنه لطيف.. وأنا لا أدري متى يحضر حتى يذهب. إنه يختفي فجأة.. ومن حسن الحظ إنه غير متزوج، فلن تستطيع أية زوجة تحمل نمط حياته.

وحاولت ايزابيل أن تعيد شد انتباه برايان إلى الموضوع الرئيسي، فقد كان على وشك الموافقة قبل دخول سامنثا. وراقبت سامنثا وجه برايان وايزابيل تتحدث، ولم يشدّ انتباهاً سوى كلمة.. «تمثيلية».. فقالت دون تفكير:

ـ اوه.. هل ستقدمون تمثيلية هنا؟ في القاعة الكبرى؟

وقال المالك الفخور:

ـ القاعة الكبرى! إنها مخزن غلال كبير أكثر منها قاعة. ولا يمكن تدفئتها أبداً. والتدفئة المركزية لن تمدد في المنزل قبل الربيع.

وردت ايزابيل بجدية:

ـ إذن سنستخدم الحطب، فهذا ما كان القدماء يستخدمونه. ولدينا الكثير من الحطب في المزرعة.. فلا تهتم بهذا الأمر.

ـ لا أهتم؟ سيدة بدفورد.. هل أنت جادة؟ لقد رأيتي حالة المكان..

حتى المطبخ ليس صالحاً للاستعمال. فكيف يمكن أن تقيمي أي نوع من النشاط هنا؟ سيتكون مهزلة!

ونظرت إليه وعيناها تلمعان بفكرة جديدة:

- بالطبع.. كان يجب أن أفكر بهذا من قبل.

- تفكرين بماذا؟

- بالمهزلة، سنقيم حفلة راقصة.. محترمة.. ولكن بملابس هزلية، سنجعل الناس يتنكرون بشخصيات هزلية.. اوه.. سيكون الأمر ساحراً!

وهزت سامنثا رأسها بحماس موافقة على الفكرة، بينما بدا على برايان الذهول، وارتجفت جوانا لتفكيرها بما سيقوله البريغادير بدفورد عندما يعرف بالفكرة.. ولكن ايزابيل وقد وجدت لها مشجعاً في حماسة سامنثا، فلن يوقفها شيء الآن.. فتابعت:

- سنقيم الحفلة في وقت مبكر من المساء، فالأمهات قد يرغبن في وضع أولادهن في الفراش بعد تقديم العرض. إلى أية ساعة تسمحين لطفليك بالبقاء صاحيين جوانا؟

- حتى الثامنة.

- اوه.. حسناً، سيضطران للبقاء ساهرين لمدة أطول. ولنقل أنهما سيكونان في الفراش عند العاشرة، فيمكن لهما إذن تقديم عرضهما عند التاسعة، ثم يذهبان إلى النوم.

وقال برايان ساخراً:

- ومتى يذهب كورس الكنيسة إلى النوم؟

- اوه.. إنهم كبار. وبإمكانهم السهر.

وقالت جوانا:

- أنت تريد للسهرة أن تنجح أليس كذلك؟

فقال لها بصوت منخفض حتى لا تسمع ايزابيل:

- لا تحاولي تجربة مدى صبري. أنت مرتاحة بالتفرج علي. وتعرفين أنني لن أستطيع الخلاص من هذه المرأة الرهيبة!

فردت بهمس ساخرة:

- ولكن سامنثا لا تبدو موافقة معك.

وتدخلت ايزابيل:

- فكر بجمال العصر الذي سنختار ارتداء ثيابه.. الثامن عشر..

وساد صمت قصير قبل أن تبدأ ايزابيل وسامنثا الحديث عن روعة الفكرة.. بينما بقي ضحية جوانا.. ساهما.. ثم قال لجوانا:

- أرى أنني مضطر للمشاركة، فالجميع سيفعل.. آرثر، سامنثا، الكاهن، حتى أولاد أخيك. وأنت بالطبع، سأنتظر بشوق سماعك تعزفين على ذلك المثلث.

- إنه القيثارة.

- اوه.. القيثارة بالطبع، كم هذا سخف مني.

وقالت ايزابيل:

- ولكنها لا تلعب القيثارة لأحد.

فرد ساخراً:

- ولكنها ستضطر للعزف هذه المرة. أليس كذلك؟

وحدقت جوانا به.. إنه يسخر منها، إنها جسارة، إنه إزعاج، ومع ذلك فقد كانت لهجته مهددة قليلاً، متحدية.

طوال بعد ظهر ذلك اليوم.. بقيت جوانا تؤنب نفسها على جبنها أمام برايان. مع أنهما يجب أن يتشاركا بالكثير بوصفه وصياً على الولدين. وله الحق أن يتناقش معها في ذلك الموضوع. وبعد مثل هذه المقابلة غير المرضية، يجب أن يسعى لرؤيتها.. مع أنها لم تكن تتوق لمثل هذا اللقاء.

لذلك، عندما سمعت دقاً على بابها ذلك المساء، قفز قلبها من مكانه وطلبت من الولدين بحدة أن يصعدا إلى غرفتهما ويتحضرا للنوم قبل أن تتوجه لفتح الباب.

ولكنها دهشت عندما ظهر لها بالباب آرثر ومعه الكلب بونتي وعلى الفور، قفز الكلب إلى الداخل، لتلقاه مونيكا وقد ذهبت طاعتها لعمتها أدراج الرياح.

وقالت له وهي تأخذ منه معطفه:

ـ لقد خرجت في ساعة غير ملائمة لعملك، أليس هناك زبائن الليلة؟

ـ ليس هناك من لا يستطيع الموظفون التعامل معه.. شعرت فجأة أنني بحاجة للخروج.. لقد أحسست الجو في المطعم خانقاً. فقد بدأ الزبائن في شرب قهوتهم وعبق الجو بدخان السكائر والطعام البارد. ولم أستطع التحمل.. فخرجت مع بونتي.

وأدخلته إلى غرفة الجلوس، فاختار الجلوس قرب النار، وأخذ يحدق أمامه، تبدو عليه التعاسة. وجلس بونتي تحت قدمي سيده.. فتقدمت جوانا لتجلس تجاه آرثر.. وابتسمت له قائلة:

ـ لو أنه بخمس حجمه الحالي، لكان مخلوقاً رائعاً.

ـ ماذا؟ آه.. بونتي.. إنه كلب جيد.

وعاد لسرحانه من جديد. وجلست جوانا بهدوء تنتظر أن يتكلم.. ولم يحرجها صمته، فهي تعرفه منذ زمن بعيد، وتحس بالسرور لمجرد رؤيته يجلس قرب النار عندها، لأنه نادراً ما يترك «قصر الأمير» ليلاً.

ورفع رأسه إليها قائلاً بتجهم:

ـ ماذا سأفعل يا جوانا؟ أنا في ورطة كبيرة. وهي غلطتي بالكامل.

ـ معظم المآزق السيئة تكون من صنع يد المرء... ماذا فعلت، أو لم

تفعل، هذه المرة؟

وللحظة ظنت أنه سيجيبها، ولكنه وقف وتوجه نحو النافذة، ثم قال:

ـ أنا أحب يا جوانا.. وهذه المرة حب حقيقي.. وهي... اوه.. إنها لطيفة معي، وتتركني أداعبها وأخرج معها. ولكنها لا تشعر بي.. ممكن أن أكون أي إنسان آخر.. إنها جذابة، والجميع يريدها. وتعامل الجميع سواسية. ولن أتحمل، يجب أن تنظر إلي بجدية.. فماذا أفعل؟ الأفضل أن أكون واحداً من عدة رجال بدل أن أخسرها.

ـ وهل تسمح لك كرامتك بهذا؟

ـ الكرامة؟ وما هي الكرامة؟ لم يبق لي منها شيء. ومنذ أسابيع.. فما ان رأيتها.. أنا آسف جوانا، لم أقصد أن أجيء إلى هنا لألقي عليك محاضرة.

ـ ألم تقصد؟

ـ حسناً، بلى.. أظن هذا. أشعر أنك الوحيدة التي أستطيع التحدث إليها بالأمر.

ـ أعتقد أن عذابك هذا له علاقة بسامنثا بريكس؟

ـ لا حاجة لأن تسخري مني. فرباطة جأشك وبرودك لا يعطيك الحق بأن تضحكي على الناس.

ـ لست أضحك عليك.. لا سمح الله..! ولكنني أحب توضيح الحقائق.

ونظر إليها آرثر، ثم ارتاحت قسمات وجهه وعاد إلى قرب النار. وأمسك بيدها.

ـ اوه يا جوانا.. أنت دائماً طيبة معي.. وتجعليني أضحك.

فقالت بسخرية:

ـ شكراً لك. إذن فسيدتك هي سامنثا. وأنت تحبها. وتراها كل يوم. وهناك بضع منافسين يجب عليك إزاحتهم.. لا أرى في هذا صعوبة، ظننتك في ورطة أكبر.

ـ إنها لا تلاحظ وجودي. أنا موجود فقط لأشعل سيكارتها وأفتح لها الباب.

ـ وتدفع أجرها.

ـ آه.. حسناً.. وأدفع أجرها. ربما هنا يكمن الخطأ. ربما لو كانت تعمل لبرايان تورنيول.. بدل أن تراه بين وقت وآخر..

ـ تورنيول؟

ـ إنه الرجل الذي اشترى العزبة.. أعتقد أنك تعرفينه.. لقد قالت لي ايزابيل أنك تعرفينه. على كل ليس هذا مهماً. فالمهم إنها مجنونة به. فهي تقضي كل أوقات فراغها في منزله. وهو لا يخرجها أبداً بل يتركها مستعبدة له هناك. وهي تذهب إليه كالحمل. إنه يستغلها وهي لا تلاحظ. وهي تظن إنه سيأخذها إلى مونتريال ويساعدها على إيجاد عمل.

ـ لا بد إنها بلهاء.. فهو حتى لا يعرف شيئاً عن المسرح.

ـ لا.. ولكنه غني، ومثقف، ولديه إتصالات.. إتصالات! كم هي ساذجة!

ـ إنها متفائلة جداً.. ألم تحاول التلميح لها إنه قد لا يكون كما تتصوره؟

ـ التلميح؟.. لقد قلت لها صراحة.. ولكنها لم تصدقني.. فهو مخلص لها.. ولكن ليس لديه الوقت الآن. ولن تصدق أي شيء عنه.

ـ أتعني أنها لن تصدق عنه شيء إلا إذا تحول اهتمامه إلى ناحية أخرى؟

ـ أو أن تأتي إحدى صديقاته المثقفات إلى هنا.

ـ ولكن من الصعب أن يفعل هذا.

ـ لا.. لن يفعل... فلا أمل إذن.

وكالعادة وجدت جوانا نفسها ممزقة بين الأنزعاج وبين أن تأخذ عنه كل أحزانه. ونظرت إليه بمحبة.. وتكونت لديها فكرة.. بساطتها تذهل، خطرها يخيف، وبدأت بسمة تتكون عند أطراف فمها، وتمتمت:

ـ لا أمل؟ اوه.. لن أقول هذا...

الفصل الخامس

مع أن جوانا كانت تتوقع زيارة قادمة من برايان تورنيول، إلا إنه لم يظهر لها طوال ما تبقى من الأسبوع، ووصلتها رسالة من محاميها يبلغها أن السيد تورنيول قد زاره وهو راض تماماً لمعرفته بأنه ممثل أخيها القانوني خلال غيابه. وهنأها على وجود رجل يحل لها المشاكل التي قد تعترضها في رعاية الأولاد. ورمت جوانا الرسالة في النار بغضب.

وكان على جوانا أن تذهب إلى اوتاوا لتشتري عشر نسخ من نص التمثيلية التي سيقدمها نادي الهواة، ثم أمضت أمسيتين تراجع نصوص الرواية. وكانت السيدة بدفورد قد لخصت التمثيلية كي لا تستغرق أكثر من أربعين دقيقة، لأنها لم تستطع إجبار نفسها على التخلي عن قسم من الخطابات التي ستلقيها في الحفلة، وبالتالي عدم تقليص بعض المشاهد المتبقية.

من الطبيعي.. أن أول شيء يجب فعله، هو تنظيف القاعة التي ستجري فيها الحفلة.. وعليها بالطبع الأتصال به لأخذ موافقته على بدء العمل. وعندما تم هذا، ردت عليها سامنثا.. وبدت محبطة لسماعها صوت فتاة إلا أنها كانت ودية وعرضت عليها المساعدة بما اعترفت إنه سيكون مهمة عملاقة، فشكرتها جوانا.

وعندما وصلت إلى القصر القديم، وجدت سيارة برايان متوقفة أمام المنزل. فنظرت إليها بغير رضى. إنها تمثل كل شيء تكرهه: سريعة، غير مريحة، غير آمنة، وكالرجل الذي يملكها تماماً.

وقال لها صوت ضاحك بعد أن وقفت تحدق بالسيارة بعبوس:

ـ إنها آلة مسكينة.

فقفزت واستدارت لتجد برايان يقف عند الباب وأحست أن تفكيرها شفاف، فقد عرف أنها تكره سيارته. فنظرت إليه وقالت:

ـ ماذا؟

ـ هذا الغرض البسيط الذي أثار غيظك هو مجرد آلة.. وهي غير معادية بالمرة.

ـ ما عدا عندما يكون شخص ما في داخلها.

ـ ألم تسامحيني بعد على ذلك الحادث الذي أوقعك في الوحل؟ لقد كانت غلطتك وأنت تعرفين هذا، ولا يجب أن تحقدي على السيارة. يبدو وكأنك على وشك ركل المسكينة.

وضحك.. فقالت هاتفة:

ـ لست طفلة.. وأنا لا أركل.

ـ كم أنا مرتاح لسماع هذا.

وأخذ من سيارتها حفنة من المكانس، وتابع:

ـ أرى أنك قدمت مستعدة. لقد بدأت سامنثا بالعمل. هل ندخل؟

ووجدت أن شخصاً ما قد قام بعمل كبير في القاعة، فمعظم الأثاث الثقيل قدُفع نحو المنتصف، وأنزلت الستائر المخملية المغبرة، ووُضعت كومة قرب النافذة، فحدقت سامنثا بها:

ـ لا بد أنها كانت جميلة.. أثرية حقاً.

ـ حسب ما أذكر كانت بلون البرقوق القاتم، وكانت قديمة وبالية حتى عندما كنت أنا طفلة. وأنا مندهشة لبقاءها قطعة واحدة.

وتلمسها برايان بأصابعه:

ـ إنها ليست قطعة واحدة، فما يمسكها لبعضها هو ثقوب العثّ.. يجب أو أوصي على صنع المزيد من الستائر.. كم هذا مكلف! لم أكن لاعتقد أن السكن في منزل قد يكون مزعجاً لهذه الدرجة.

فقالت سامنثا:

ـ دعني أساعدك.

ـ وكيف ستفعلين هذا أيتها الصغيرة؟ أن تسهري الليل تخيطي لي ستائر جديدة؟

ـ لا.. بل أساعدك على اختيار الألوان و...

ـ آه.. هذا أستطيعه بنفسي وما أريده هو العون الفعلي.

وتدخلت جوانا:

ـ يمكن القول أن سامنثا كانت ذات فائدة كبيرة لك حتى الآن.

ـ صحيح؟.. أظن أنك على حق. في الواقع لم أكن ممتناً لها بما فيه الكفاية. أنا آسف يا سامنثا. سامحيني.

ـ بالطبع.. فأنا سعيدة لمساعدتك.

فقالت جوانا:

ـ وماذا ستفعل بالستائر.. أنت لن تحتاجها.. على الأقل في الوقت الحاضر.. فإذا اشتريت القماش، سأخيطها لك. وأظن أن هذا تقسيم عادل للمساعدة.

ـ أنت؟ وهل لديك وقت؟

فابتسمت:

ـ لدي وقت لكل شيء شرط أن أفعله. على كل سيبعدني هذا عن تمارين فرقة الهواة للتمثيل، ولو بقيت في البيت لأخيط الستائر، فالأمر يستحق.

فسألتها سامنثا:

ـ ألا تحبين التمثيل؟

ـ ليس كثيراً، على كل لا أستطيع.

فقال برايان:

ـ هراء.. الأمر لا يعدو ارتداء ثياب وعرضها.. وكل النساء يحببن هذا.

بعد أن أهان مستمعتيه، أدار ظهره ليحضر ما تبقى من أدوات التنظيف من سيارة جوانا.

وعملوا معاً بصمت.. إلى أن سمعوا، بعد وقت طويل، صوتاً من الخارج ودخل عليهم آرثر بدفورد.. فقال له برايان:

ـ مرحباً.. لم أسمع سيارتك.

ـ لقد قدمت سيراً.

فسألته جوانا؛

ـ اوه.. هل جئت عبر فناء الكنيسة؟ كنت أتساءل عما إذا كانت البوابة لا زالت في مكانها.

ـ لا زالت هناك.. ولكن العشب قد نما عليها وأصبحت تقريباً صدئة. ودخلت عبرها بسهولة والممر من الناحية الأخرى مليء بالأشواك التي تبلغ الخصر طولاً.

وقالت جوانا وكأنها تحلم:

ـ كنا نذهب عبرها إلى البحر.. كنا بالطبع نتعدى على حق المرور

ولكن السيدة أندرهيل لم تكن تمانع أبداً. كنا نأخذ معنا الطعام إلى السلم الحجري.. هل تذكر يا آرثر؟

ـ أجل.. هل ستتأخرين كثيراً يا سامنثا.

وكان في رده فظاً.. وتحركت سامنثا بمضض:

ـ كنت سأذهب منذ زمن.. ولكنني كنت.. هكذا.. أتساءل.. ألا تريد مساعدة في إختيار الستائر برايان حبيبي؟

وبدا الألم على آرثر، ووجدت جوانا نفسها تشد على عصا المكنسة حتى سبب لها علامة حمراء على راحة يدها.. ورفع برايان ذقن سامنثا بأصبعه، وقال مداعباً:

ـ أتظنين أن بإمكانك مساعدتي يا قطتي؟

وقاطعته جوانا:

ـ ستحتاج لأن تقيس الستائر، وتتأكد من طولها الصحيح: وإذا أردت المخمل ثانية، يجب أن أذهب معك.

وبدا على آرثر الأنزعاج وكأنها خانته وانضمت إلى معسكر الأعداء. ونظرت إلى سامنثا، فصعقت.. لم يكن ذلك التعبير الناعم أبداً على وجهها، بل كانت تحدق بها بحقد غير مقنع. ولكن هذا ليس الذي صدم جوانا، بل كانت النظرة المحتسبة الراشدة التي زحفت إلى عينيها، على عكس نعومتها المعتادة. فوقعت المكنسة من يدها، والتقطها برايان:

ـ هذا لطف منك جوانا.. سأقبل.. لو سمحت.. متى ستكونين حرة؟

ـ بأقرب فرصة، ذلك أفضل. وبما أن ذلك سيكون لأجل الحفلة، فسيعطيني البريغادير برفورد فرصة.. ما رأيك في الغد؟

ـ رائع.. ولكن بعد الظهر. وربما أقنعك بأن تمددي فترة بقائنا معاً

لنتناول العشاء.

واحتجت جوانا بالأولاد وعشاءهما ووضعهما في الفراش، فقال ساخراً:

ـ أنا واثق أن سامنثا ستكون مسرورة للعناية بهما.. إنها تحب مساعدة الصغار.

وبدأت جوانا القول:

ـ ولكنني..

فقاطعها آرثر

ـ بالطبع يجب أن تذهبي. بإمكاني المجيء بالأولاد ووضعهما مع ايزابيل إلى حين عودتك. ولا أظنكما ستتأخران كثيراً. فهذا شيء قليل لتعمله لقاء فكرتها المجنونة، فلتتحمل قليلاً من المسؤولية.

ـ ولكنني لا أحب أن يتضايق أحد من أبناء أخي..

ـ لا تتحججي. أشكري الله على قضاءك ليلة بعيدة عنهما..

وكانت على وشك الرفض عندما لمحت وجه سامنثا المتشدد المتوتر.. فرفعت رأسها وقالت وكأنها ستذهب إلى ميدان معركة:

ـ حسن جداً.. سأفعل.. وبإمكانك آرثر أن تقول لايزابيل أنك طوعتها كمربية أطفال.. فأنا لن أفعل.

لمعظم ما بعد الظهر معه كان الحديث كله عن العمل. ولكنها كانت لا تزال تحس أنه من تحت تلك النظارة السوداء التي يرتديها كان يضحك منها... إنه لا يعجبها ولا تثق به وممتعضة جداً من تكليف ريتشارد له بالوصاية على الولدين. وسألها:

ـ لماذا تبتسمين؟

ـ من أفكاري.

ـ وهل هي مضحكة؟

ـ لا . . ليس في الواقع . ولكن من السخرية أن ريتشارد لا يزال يظنني قاصراً غير مسؤولة .

ـ لماذا؟

ـ لماذا؟ ألم تلاحظ؟ لأنني لست قاصراً . . فأنا راشدة، ومستقرة، وسئمة . وأنا أكبر من أن أدعى طفلة . لا أصغر .

فقال لها بهدوء :

ـ أنت طفلة مكتملة .

وأدار الحديث في إتجاه آخر . ولم يعودا إلى الحديث الشخصي إلى أن كانا على طاولة العشاء . ولاحظت أن اهتمامه قد تغيرت نوعيته، فاتجهت إلى صمت مرتبك . . . وقال معلقاً على بعض كلامها :

ـ وهل ما يظنه بك الآخرون مهم جداً؟

ـ ليس الجميع . . بعض الناس فقط .

ـ مثل آرثر بدفورد؟

ـ إنه واحد بين آخرين . أصدقائي . . .

وقال بغضب :

ـ أصدقاء! أثرياء متطفلون . أنك تتركين الناس يتباهون عليك . بل أنت تشجعينهم . ريتشارد . . آرثر وعمته المجنونة . أنت لست مدينة لهم بشيء . فلماذا تتركين لهم فرصة التدخل في حياتك؟

ـ لم أدرك هذا من قبل .

ـ اوه . . هذا هراء . . يجب أن تعرفي هذا . فأنت تركضين بين يدي آل بدفورد وكأنك خادمتهم المستعبدة . فلماذا بحق الله؟ نحن لم نعد في القرن الثامن عشر، ولا هم أسياد القرية .

وردت عليه ببساطة :

ـ ولكنني أحبهم .

ـ حب! أنت ترتمين بين أقدامهم، وتقولي لهم «دوسوا علي» ويفعلون . . يجب عليك أن تأخذي موقفاً حاسماً . قرري ما يجب أن تفعليه لكسب معيشتك، ولا تتورطي معهم خارج هذا النطاق .

ـ وكيف؟

ـ يا إلهي . . وكيف أعرف؟ أنت التي تعرفين بالخبرة . أليس لك دفاعات في حياتك بالمرة؟

ـ لم أتعلم أن أقف بعيدة عن الناس الذين أهتم بهم . ولست أدري ما الذي يجب أن أتعلمه .

وصفق يده فوق الطاولة .

ـ أنت إذن ضائعة .

ولم يكن هذا موضوع قد يريد أن يتركه، فبعد أن أوصلها إلى منزلها وقف مستنداً إلى طاولة المطبخ يحدق بها . . ثم قال :

ـ أتعلمين ما قاله لي ريتشارد عنك؟

ـ شيء قد لا يرضيني .

ـ ولكنه أعتقد إنه إطراء لك . ألا تريدين أن تعرفي؟

ـ أنت تجعله يبدو رهيباً .

ـ لقد قال أنك فتاة صغيرة هادئة . واعتقدت من كلامه أن ليس لديك التفكير أو الإرادة الخاصة بك، وأنك لست ذكية .

ـ يمكن أن أصدق أن هذا ما قاله .

ـ ولكن لا يجب أن تصدقي هذا . إنها صورة غبية تلك التي للناس عنك هنا . ولا يجب أن تدعيهم يقنعونك بها .

هذه الجدية الجديدة حيرتها . فمن ناحية كرهت اعتقاده أن له الحق في التطفل على حياتها الخاصة، ومن ناحية أخرى وجدت صدقه

واهتمامه خطراً قليلاً. فمما يقطع الأنفاس أن يجد المرء نفسه موضوع اهتمام مفاجيء من شخص آخر. فقالت بلطف:

ـ لا أظنك تعرفني جيداً لتصدر علي الأحكام.

ـ بل أعرفك.. أعرفك جيداً. أكثر مما يعرفك جيرانك. فأنا من حاولت وضع العصي في دواليبه لأجل الأولاد... أتذكرين؟

ـ وهل تتوقع أن أعتذر؟

ـ يا إلهي، لا! لقد كنت على حق... ولكن الشيء الذي لا أفهمه لماذا غيرت مسارك من الغضب فجأة إلى التساؤل عما إذا كان ريتشارد على حق وأنك قد لا تكوني صالحة لرعاية الأولاد؟

ـ وكيف عرفت أنني تغيرت؟

ـ لقد قلت لك.. أنا أعرفك جيداً.

ووضعت يداها على خديها:

ـ ولكنك لا تعرفني.. لا يمكن. أعني أننا لم نلتق من قبل. هل كنت تتجسس علي؟

ـ ليس أكثر مما كنت تتجسسين علي.

فاحمر وجه جوانا:

ـ اوه.. إنها الشائعات.. ولن تخبرك الشائعات الحقيقة. فأنا لا أعرف شيئاً عنك. فمثلاً: لست أدري لماذا تضع مثل هذه النظارات السخيفة. إلا إذا كنت تقصد منها أن تظهر كنجم سينما وتبهر سامنثا المسكينة.

ـ هل قلت أنك لا تملكين أية دفاعات؟

ـ لا أملكها ضد الناس الذين أحبهم. فأنت على حق.. أنا لست بحاجة لمثل هذه الدفاعات ضد من أحبهم.

ـ مثل آرثر بدفورد؟ أنت سليطة اللسان وعنيدة، إذا كنت تريدين معرفة

شيء عن نظارتي فما عليك سوى السؤال. أو سأقول لك. لقد حدث لي حادث مع المتفجرات، وأصيبت عيني بضرر.

فشهقت بارتجاف وبدأت تتمتم:

ـ أنا.. آسفة.. لم أكن.. أعلم...

ـ ولكن كان بإمكانك أن تعرفي.. أليس كذلك؟ بدلاً من أن تحيكي حولي القصص الخرافية.

ـ لقد قلت إنني آسفة.

وشهقت بعدما أطفأ النور:

ـ ماذا؟...

ـ بما أنك لا تحبين نظارتي السوداء فسأخلعها، ولكن لسوء الحظ لا أستطيع تحمل الضوء بعد.. وبإمكانك صنع القهوة في الظلام.

ـ اوه لا تتصرف كالأطفال.. فأنا لن ألعب في مثل هذه الساعة.

ـ ألست تتلاعبين بحق الله؟

وجذبها من ذراعها بقساوة وأخرسها بفمه. كان غاضباً ولكن كان في قبلته أكثر من الغضب. وكأنه كان يرتجف من رغبة جامحة فيه لأن يأخذها بين ذراعيه. ولم تبدي جوانا أي مقاومة، وقد أحست برأسها يتمايل. وتركت نفسها تغرق في إحساس جديد عليها. فأغمضت عينيها وتركت أصابعها تعبث بشعره. وتنفس بعمق ثم أبعدها عنه.

وحدقت به بذهول، ويدها لا تزال تقبض على طرف سترته واكتشفت، بعجب، إنها لم ترغب في أن يبعدها عنه هكذا، ليس من حقه أبداً أن يجعلها تشعر بالدفء والحياة كما لم تشعر بهما في حياتها ثم يتركها ويدفعها عنه. ومدت أصابعها لتتلمس وجهه.

وتراجع وكأنه لُدغ، وأمسك بيدها بقوة للحظة ثم أبعدها عنه. وقال لها:

ـ أنت بحاجة لأن تتعلمي العناية بنفسك قبل العناية بآرثر بدفورد..
وتلك القهوة تغلي على النار.

وخرج...

وتركها ترتجف خجلة من نفسها بشكل غريب.. ما لم تفهمه هو ما الذي فعلته لتغضبه؟

في الأيام التي تلت وجد الولدان أن عمتهما تائهة الفكر. وكانت مشغولة جداً بالطبع.. ولكنها دوماً كانت مشغولة من قبل دون أن تنسى أين وضعت كتبهما، أو سماحها لهما بالبقاء ساعات صاحيين دون تذمر. وأحياناً كانا يجدانها تحدق في الفضاء دون حراك.

بعد ظهر يوم السبت، وكان يوماً رائعاً، وبينما كانت جوانا تجلس إلى ماكنة الخياطة تخيط الستائر، تسلل الولدان من المنزل من باب المطبخ. ومع أن صوت الماكنة القديمة يطغي على أي صوت، فقد فضل بوب، بتفكير طفولي، أن يخرجا على أطراف أصابعهما يحملان أحذيتهما في يديهما، وأغلق الباب خلفهما بحذر مبالغ فيه، ثم انطلقا في الممر الموحل إلى الشاطيء بأسرع ما يستطيعان.

وبالطبع، كان تفكير جوانا، الجالسة وسط بحر من المخمل الأزرق الداكن، بعيد جداً عن أولاد أخيها. وكانت ايزابيل، والتي عبّرت عن دهشتها عندما عرفت بتبرع جوانا لخياطة ستائر عزبة «الريح».. تنوي زيارتها لتستشيرها ببعض أمور الحفلة. وخلال ذلك الوقت ستمرر، وبالتأكيد، بعض الأوامر لها وبعض المهمات الأخرى.

ووصلت ايزابيل بفكرة حماسية جديدة، إضافة إلى الخطابات.. فلقد تبادر إلى ذهنها، والقاعة كبيرة، وأثاثها خفيف، فلماذا لا تملأها بأغصان الصنوبر؟ الأشجار في المزرعة يجب أن تقطع في فترة الميلاد على كل الأحوال. فالبريغادير بدفورد معتاد على إعطاء كل عائلة من موظفيه شجرة

فلماذا لا تقطعها باكراً قبل عشرة أيام، وتزين القاعة بها وتزينها بالألوان والأضواء... ألن يكون هذا جميلاً؟

ـ وكم عددها؟

ـ دزينة تقريباً. فالقاعة كبيرة كفاية.

ـ دون شك. كم تتوقعين أن يكون حجم الأشجار؟

ـ اوه.. حجم لا بأس به بارتفاع عشرة إلى اثني عشر قدما على الأقل.

ـ يا إلهي.. وأين ستضعينها؟

ـ اوه.. في أوعية زهور.. ستجدين لها شيئاً... أتعلمين.. هذا المخمل رائع.. كم ثمنه؟

ـ لست أدري.. لم أدفع أنا، حتى أنني لم ألاحظ.

ـ إنه جميل.. كذلك البطانة.. إنها قماش ناعم، ولونها رائع... الرجل له ذوق جميل، أم عاونته في الأنتقاء؟

ـ لا.. فهذه ستائره. وعليه أن يعيش معها، ولا علاقة لي بها.

فردت ايزابيل بدهشة.

ـ آه.. لا حاجة لأن «تأكلي رأسي».. فهذه من الأشياء التي لا أتصور أن يفعلها الرجال.. هذا كل شيء.

وردت جوانا من بين أسنانها.

ـ إنه حر.

ـ هو كذلك بالفعل.. هل تظنين إنه سيبقى في العزبة؟ إنه لا يبدو وكأنه يرغب أن يكون من السكان، إذا كنت تفهمين ما أعنيه.

ـ ألم يعرض المشاركة بالكورس!

فضحكت ايزابيل:

ـ لست أدري ما هو حقه في أن يكون متكبراً هكذا. مع ذلك، أراهن إنه سيرتدي ثياب التنكر. فالجميع سيفعل حتى المسكين جاك.

- يا إلهي.. وماذا...؟

- اوه.. لا شيء مريع.. فلن يتحمله. سيرتدي ثياب صيد زهرية قديمة.

- هل يعرف بهذا؟

- ليس تماماً، أو بعد. ولكنني سأخبره في الوقت المناسب.

- ألم تبيعي شيئاً من تذاكر الحفلة بعد؟

- لقد فعلت، مدير المصرف الذي يتعامل جاك معه طلب عدة بطاقات، واضطررت إلى كتابتها باليد، لماذا لا تطبعي بعضاً منها. وافتحي حساباً في الدفتر لها.. أنت تعرفين ما تفعلي.

- ولكن لا أظن أن لدي الوقت.

- أنت دائماً تجدين الوقت لما تريدين فعله.

ونظرت ايزابيل شذراً إلى الستائر المخملية. فأجابت جوانا:

- حسناً يا ايزابيل.. سأطبع لك الدعوات بكل سرور، ولكن عليك أن تجدي من يبيعها لك. وستحتاجين إلى ملصقات..

- لقد فكرت بهذا.. أفريل ستجعل الأولاد يرسمون شيئاً. ثم تختار ما يناسب.. أما بالنسبة للبيع فقط أعطيت رقم هاتف المكتب، وأخشى أن يضطر كل من يتواجد هناك إلى التعامل مع البيع. ولم أدرك أنك قد لا ترغبين بهذا.

- الأمر ليس هكذا. كنت آمل أن أنهي بعض أعمال المكتب خلال تنفيذك هذا المشروع. ولكنني أرى أنني لن أستطيع إنهاءها.

- لن يمانع جاك، لقد قلت له أن الأمر لن يستمر أكثر من فترة الميلاد. على كل الأحوال ستكون راحة لك أن تقومي بأشياء غير تلك الحسابات والأعمال المكتبية. طوال اليوم.

- ولكنني لا أعمل في الحسابات طوال اليوم.

- إذن تقومين بدفع الفواتير وقراءة الأعلانات.. على الأقل أفكاري أكثر حيوية.

وسمعنا دقاً عنيفاً على الباب فسارعت جوانا لتفتح وتجد برايان يرفع يده على وشك أن يدق الباب ثانية، وبعنف فجفلت وقالت:

- نعم؟

- أنت أكثر إمرأة مهملة وغبية التقيتها في حياتي.

- أنا.. أنا آسفة؟

- الأفضل أن تكوني آسفة. وستكوني أكثر أسفاً لو حدث هذا مرة أخرى.

مثل ماذا؟

- أن تتركي هذين الولدين يخرجان لوحدهما.

ووقف خلفه، جسدان مرتجفان قلقان وكأنهما يقفان على قمة القطب. وكاد قلب جوانا يخرج من مكانه لهما. وركعت على ركبتيها وأخذتهما بين ذراعيها، بينما وقف برايان يراقبها بمرارة.

- أعتقد أنك لم تكوني تعرفي أين ذهبا.

وفتحت فمها لترد عليه، فلاحظت أن مونيكا على وشك البكاء. فوقفت وقالت بغيظ:

- لا.. لم أكن أعرف. وأعتذر إذا كانا قد اقتحما منزلك ثانية.

- إقتحما..! هكذا بالفعل. ولكن السلالم الحجرية التي تقود إلى البحر. كان يمكن أن يقعا بسهولة ولا يدري بهما أحد.

فشحب وجه جوانا.. وقال بوب بصوت رفيع متحدي:

- كان يمكن لأحد أن يعرف. بيت وستان مردوك يعرفان أين نحن..

ولا يمكن لنا جميعاً أن نقع ونضيع.

وقال برايان بلهجة معتدلة:

ـ ربما.. ولكن أكان يمكن لهما أن يجراك من حفرة ما لو وقعت فيها؟

وفكر بوب بالأمر، وأصابعه تتلوى في يد جوانا، ثم قال:

ـ لا..

فابتسم برايان:

ـ جيد.. تذكر هذا إذن. ولا تفعل ما فعلت ثانية.

وللحظات حدق بجوانا دون تعبير على وجهه.. وكان يضع نظارته السوداء.. وبدا وجهه المقنع بعيداً ومتحفظاً، ومات ما كانت ستعتذر به على شفتيها. وكأنه الديّان الذي يلوح في الكوابيس، نظر إليها ببرود واتهام. وأحسّ الطفلان بإدانته لها، فاحتضناها.

وقال لجوانا:

ـ ولا تفعلي هذا مرة أخرى، أو سأضطر إلى فعل شيء حول الأمر.

فرفعت رأسها لتهديده.. ولكنها لم تقل شيئاً. وخرجت ايزابيل من الغرفة، غير قادرة على كبح فضولها أطول، ووقفت خلفها. ثم تقدمت محاولة التخفيف من توتر الوضع.

ـ هل خالف بوب ومونيكا أوامرك يا جوانا؟

ـ لا.. لا بالمرة.

وتنفس بغضب

ـ وأعتقد أنك ستتركينهما وشأنهما وكأن شيئاً لم يكن؟

فردت عليه بهدوء رهيب وهي ترتجف من الغضب:

ـ هذا شأني أنا.

ـ هذا مجرد اختلاف في الأراء.

وحاولت ايزابيل ثانية أن تنجدها:

ـ لا أظن حقاً سيد تورنيول أن بإمكانك قول هذا.. فجوانا مسؤولة عن الولدين على كل الأحوال.

ـ هي فعلاً هكذا.

وتابعت المسكينة ايزابيل تقول دون أن تعرف الحقيقة:

ـ وإذا كانا قد أتلفا ممتلكاتك فيمكن أن يعتذروا، ولا يمكن أن تلوم جوانا. فليس من السهل على إمرأة أن تربي ولدين بهذا السن.

فأدار نظارته السوداء إليها. وأجاب بأدب:

ـ لا؟ ربما إذن هما بحاجة إلى أب يعتني بهما؟

واستدار على عقبيه.. وذهب.

الفصل السادس

ما أن ذهب، حتى أدخلت ايزابيل المرتجفة الولدين إلى قرب النار. . كانا باردين وموحلين. ولكن البلل الذي كان في ثيابهما كان يبدو بسبب الضباب وليس بسبب مياه البحر. وتبعتهم جوانا وهي ترتجف أيضاً. وأمرت الولدين بأن يصعدا ليخلعا ملابسهما ويستحما.

وما أن غطسا في الماء الساخن حتى استعادا روحهما المرحة وسمعتهما جوانا يضحكان. فدخلت المطبخ وبدأت تحضر لهما الحليب الساخن. ولحقت ايزابيل، قائلة:

واو. . ! إنه لا يراعي كلماته أبداً. . أليس كذلك؟

فردت جوانا باختصار:

ـ لا.

ـ أهناك شيء أستطيع فعله؟ أقطع الخبز أو أي شيء؟

ـ سيكون هذا لطف منك. . ولكن لا تحمصي الخبز.

ـ من السخرية أن يضبط الولدين يفعلان ما طالما منعتيهما من فعله يوم أن استطاعا الهرب منك. . فهما عادة طيبان.

وتقدمت منها لتضع ذراعها حول كتفي جوانا:

ـ والآن لا تقلقي مما قاله ذلك الرجل غير المحتمل. على كل الأمر لا يعنيه.

فهزت جوانا رأسها؛

ـ كان يمكن أن يغرقا.

ـ هراء. كان يمكن أن يتبللا، ولكن حتى هذا غير مؤكد. فالأطفال لديهم إحساس مرهف لحماية نفسهم. فلم يغرق أحد من أولاد مردوك حتى الآن.

ـ ولكنهما أكبر سناً وأضخم جسماً، وعاشا هنا طوال حياتهما. . ومونيكا لا زالت صغيرة. . .

ـ وهل هذا سبب لتمضي وقتك تتوقعين أحداثاً مأساوية؟ ستكبر. . ولن يصيبها أكثر مما يصيب الأولاد من سنها، حاولي أن تكوني منطقية.

ـ ليس من السهل أن تكوني منطقية مع أولاد الآخرين.

ـ وهذا سبب إضافي للمحاولة. . وإلا فسوف تعقدي المساكين.

ـ اوه. . يا إلهي. . وأنت أيضاً؟

وتوقعت تماماً أن ترى برايان مرة أخرى بعد أن يهدأ، ويقرر ما هي الخطوات التالية. وحضرت نفسها للقاء آخر بكل ما تستطيع جمعه من شجاعة. وعندما لم تسمع عنه أي شيء، ازدادت خوفاً. ولم تستطع أن تخلص نفسها من الشعور بأن أزمة حادة قد تملكت علاقتهما وإنه لن يسمح لوصايتها عليهما أن تمر هكذا دون اعتراض. وفي صباح يوم الجمعة الذي تلا. . . وقع الانفجار.

أعلمتها رسالة من محامي ريتشارد أن على بوب أن يذهب إلى مدرسة داخلية. ويمكن له أن يبدأ الدراسة في مدرسة الكاتدرائية المحلية في المنطقة في شهر كانون الثاني القادم. وهو محظوظ جداً لحصوله على

مقعد في منتصف الموسم الدراسي، ومما لا شك فيه أن عليها شكر السيد برايان تورنيول الذي كان تلميذاً سابقاً في تلك المدرسة لأنه هو من رتب له هذا الأمر.

وذبلت جوانا. ،فتصرف بوب الملائكي لم يغب عن ملاحظتها وهي تعرف السبب. فهو يعرف إنه قد أساء التصرف، وخائف، ليس من العقاب، بل من الإساءة لها. وإرساله إلى مدرسة داخلية قد يبدو له العقاب الأكبر.

الولدان يعيشان فقط على أمل عودة والدهما إلى المنزل.. وهي تقدم لهما كل مساعدة تستطيعها. بإمكانها دائماً أن تقول لهما.. إنتظرا قدوم والدكما لتعرفا رأيه.. مثلاً.. مونيكا تريد كلباً.. إنها تحبّ الكلاب وتلتصق دوماً ببونتي.. ولكن بونتي كلب ضخم وخشن التصرفات بالنسبة لها. ولكنها لا تستطيع أن تأتي لها بجرو تربيه لأنها لا تعرف ما إذا كان ريتشارد سيوافق أم لا.

وقالت لها ايزابيل وهما تتحدثان بالموضوع يوماً:

- ولكن ريتشارد لن يمانع. لقد كان دائماً يحب الحيوانات.

- أعلم هذا. ولكن لو أتى في الربيع وأراد أخذ الولدين معه في ترحاله، فلن يحب أخذ كلب أيضاً. فالأمر مكلف جداً.

- وهكذا لن تحصل المسكينة على كلب؟

- إذا لم يحصل شيء غير متوقع.. سأهديها جرواً في الميلاد.

وابتسمت جوانا.. يجب أن تجد طريقة تعلم أخاها أنها قررت إدخال كلب في حياة ابنته، وإنها لن تستسلم لرغباته دون مقاومة.

- ومن أين ستحصلين على الجرو؟

- لم أفكر بهذا بعد.. لقد قررت لتوي. والأفضل أن أحصل عليه من شخص أعرفه بدلاً من محل بيع حيوانات. وسأسأل.

وقالت ايزابيل بحماسة:

- إتصلي بآرثر الآن.

ولكن جوانا ترددت.

- لا.. شكراً لك. سأذهب بنفسي إلى هناك قريباً.

الأسبوع الذي تلا كانت منشغلة تماماً. فقد طبعت الدعوات وسلمتها وقبضت ثمنها طوال النهار، وخيطت أزياء الأولاد وزيها في الأمسيات. أحد زبائن آرثر وجد لها جرواً لكلب صيد ذهبي اللون، وما عدا ذلك فقد تخلت عن مشتريات عيد الميلاد.

ووال ما مر من وقت لم تلتق أبداً ببرايان تورنيول، ما عدا مرة أو مرتين وبالصدفة. وكان دائماً مع مجموعة من الناس أو يتأبط ذراع سامنثا. ولعلمها أنها جبانة، فقد كانت تتجنب المواجهة معه. وكتب لها مرة واحدة عندما اعترضت لدى المحامي أنها لا تملك المال الكافي لتغطية مصروف بوب في المدرسة الداخلية، وباختصار. وأرسل لها صورة حكمين من المحكمة يقضيان بأنه هو المسؤول عن مصاريف الولدين.. وانتابتها رغبة في أن تذهب لتصرخ في وجهه قائلة إنهما ليسا بحاجة لأحسانه. ولكن الأقتناع الكامل لديها بإنه سيقول لها أن لا شأن لها بالموضوع قد منعها من أن تفعل.

ولم تشاهده ثانية قبل يوم الحفلة الراقصة. فقد وصلت جوانا إلى العزبة لتجد برايان يتصارع مع شجرة ميلاد عملاقة. فصاحت:

- ماذا تفعل..؟

وركضت نحوه لتمسك بعض الأغصان وتوازن الشجره له.. وأوقفا الشجرة مستقيمة ثم قال لها:

- شكراً لك.. لقد بدأت فجأة تتصرف لوحدها.. إنها الأخيرة والأصغر. وفكرت أن أساعد بإدخالها. اوه.. لقد علق بي الصنوبر

فأصبحت كالقنفذ الأخضر!

وسحبت جوانا يدها عن الشجرة وقالت:

- أرى هذا. ماذا دهاك لمحاولة حملها لوحدك؟

- لقد كان الأمر على ما يرام ثم بدأت تترنح.. أستطيع القول إنها جميلة.. لم أحصل في حياتي على شجرة ميلاد مثلها.

وأحست بشفتيها تنفرجان عن إبتسامة بالرغم من إستيائها منه:

- أنا سعيدة لتمتعك بها. لقد توقعت أن أجدك بحالة هيستيريا.

- صحيح؟ وهل أبدو من النوع الهستيري؟

- لا.. ولكن خطط إيزابيل تهز أصلب الأعصاب. ولقد هرب منها زوجها إلى المقهى.

- رجل متعقل. ولكنني لن أفعل مثله. سأتمتع بوقتي.. يبدو المكان في الداخل وكأنه غابة إستوائية. وهناك كهربائيان يحاولان وضع الأنوار على كل الأشجار. أدخلي وانضمي إلينا هناك سيدة من الجمعية ترش الرذاذ الأبيض على كل شيء. تعالي..

وتغلب على إرادتها فتبعته.. ولم يكن قد بالغ في الوصف.. فاخترقت طريقها بين الأشجار، والأغصان. وأكوام من الزينة والكابلات والشرائط. وأحست بالأمتنان ليده التي تقودها.

ونظرت إليه:

- هذا فظيع.. ماذا فعلنا لمنزلك؟

فابتسم بخبث:

- لم يكن منزلاً بعد. وربما هذا كله سيجعله منزلاً، على كل الأمر لا يهم وهي ليست غلطتك، فلا تبدين كالمذنبة هكذا.

- لا أستطيع.. ولدي في السيارة أكوام من أزياء التمثيل وأكواب

الشاي، والله يعلم ما غيره.

فضحك

- حسناً هذا لا يبدو لي غير ممكن التصرف فيه. الشاي وأغراضه تدخل المطبخ، والأزياء في الطابق العلوي، فالسيدة بدفورد قد أفردت بضع غرف للملابس.. سوف أرشدك إليها وأوصل الأزياء إلى فوق. هل جئت بالتك معك؟

- لا.

- وبدا على وجهه الضحك ولكنه لم يعلق:

- تفكير راجح منك!

وبدا لها كم هو أكثر وداً وأقل ترهيباً عندما لا يرتدي نظارته فسألته:

- هل تشعر بتحسن عينيك؟

واحمرّ وجهها بعد أن تذكرت آخر مرة تحدثا فيها عن عينيه وبدا إنه هو ايضاً تذكر ما حدث. فأجابها بمرح:

- بالكاد أحتاجه الآن. مع إنني لا زلت لا أحتمل الضوء الساطع.

وأحست إنه يداعبها فرفعت رأسها وقالت:

- كم هذا أمر غير ملائم.

- إذن فلنحضر تلك الأزياء. هذا إذا كنت تستطيع تحمل ضوء النهار.

وسارت أمامه خارج الردهة وهي تسمع صوت ضحكه الخفيف. الأمسية كانت رطبة وباردة.. وبدأت العتمة عند الثالثة، وتصاعد الضباب البارد من حول التلال، وبدا لها أن بوب ومونيكا لن يخيبا أملها بهما، فقد أخذ بوب دور صاحب الفندق في تمثيلية الميلاد ومونيكا دور الملاك، وكلاهما لم يعانيا أبداً من رهبة المسرح. ووصلت بهما إلى العزبة، ولم يكن برايان هناك.. ولكن سامنثا كانت تقوم بتقديم الخدمات للمشتركين الواصلين.

ومال آرثر إلى أن يغلق المطعم تلك الأمسية، تاركاً غرفة الأستقبال والمقهى فقط للزبائن الدائمين. وشارك مع الطاهي وسامتا، بالطبع، في العمل في العزبة، وقال آرثر لجوانا:

ـ الحقيقة أن هذا كله قد خرج من أيدينا. ولا أعتقد أن ايزابيل تعرف ما سيكلفها.. وليس فقط إنها لن تجني المال منه بل هي ستخسر أيضاً. هل تعلمين كم تذكرة باعت؟

ـ لقد طبعت لها ستماية بطاقة.. ولكنني لا أعلم إذا كانت قد باعتها كلها.. أنت تعرفها أكثر مني.

ـ بالطبع أعرفها.. إنها تقدم تذكرة مجانية لكل من يقرضها مفك براغي.

ـ تقريباً.

ـ إنها محبوبة.. ولكنها مجنونة.

موضوع حديثهما، صعدت السلم وهو يتكلم عنها ودخلت إلى غرفة الطعام يتبعها برايان الذي التفت إلى جوانا وقال مخاطباً آرثر:

ـ اوه.. لقد وجدتها أخيراً يا آرثر؟ إنها مجنونة تماماً.. أوافق معك.

فاحمر وجه جوانا:

ـ من.. أنا؟

فضحك آرثر:

ـ لا يا حبيبتي.. ولكن عمتي. أنا مستعد لأن أراهن على خسارتك يا ايزابيل.

ـ صحيح؟ حسناً.. لقد كلفتني أكثر مما توقعت، ولكن لا بد أن نكسب ما لا يقل عن خمسماية إلى ستماية دولار.. والسيد تورنيول تبرع مشكوراً بأن يرفع أي مبلغ نكسبه إلى الألف.. وهذا هو هدف الجمعية.

فقالت جوانا مذهولة:

ـ ماذا؟

وقال آرثر:

ـ هذا ثمن مرتفع يدفعه المرء لقلب منزله رأساً على عقب.

ومرت لمحة انزعاج على وجه برايان:

ـ اوه.. هذا هراء.. إنها تجربة فريدة من نوعها.. متى تظنون أن العرض سيبدأ؟

فقال آرثر ساخراً:

ـ أو إذا أردت التأكد، متى ستنتهي؟

فزجرته عمته:

ـ لست مضطراً للبقاء.. تستطيع أن تأكل وتشرب.. فالحفلة غير رسمية بالمرة. أريدها أن تكون حفلة حرة. ستجد أنني وضعت المقاعد في مجموعات صغيرة بدل وضعها وكأنها في باحة الكنيسة، فالهدف هو تمتع الناس بالحفلة.

فضحك:

ـ لا بأس إذن. متى سنبدأ في التمتع؟

وتدخل برايان:

ـ كما عرفت.. ستخلى القاعة لأجل الرقص عند التاسعة والنصف. على الأقل هذا ما قاله شبان الفرقة الموسيقية.

وقال آرثر وهو ينظر إلى ساعته:

ـ جيد.. سأتذكر هذا. لقد أصبحت الآن السادسة.. الأفضل أن أذهب لأغير ملابسي.

فقالت ايزابيل:

ـ حسناً.. سأفعل.

وأضيئت الأنوار بعد انتهاء الرواية بنجاح. وسارع الأطفال للصعود إلى غرف الملابس. وحاولت جوانا التخلص من يد برايان التي منعتها من اللحاق بالأولاد.

ـ يجب أن أذهب..

ـ لا.. لا يجب عليك أن تذهبي.

ـ بلى.. يجب.. لقد وعدت أن أساعد افريل في خلع ملابس الأطفال وتنظيف كل شيء.

فترك يدها، وقال وهو ينظر إليها:

ـ اوه.. إذا كان هذا كل شيء.. سوف تعودين؟ ولن تهربي مع الأولاد؟

ـ أعدك.

ـ بوب ولد رائع.. وعلي أن أعرفه أكثر. أعتقد إنه يشابهك.. اوه.. هيا إذهبي والعبي دور المربية.. ولكن أحذرك.. لو حاولت الهرب.. سألحق بك وأعيدك إلى هنا.

فلمست كتفه برقة:

ـ لا تقلق.. سنفشل معاً متحدين.. وأعتقد أن أمامنا فشل كثير هذه الليلة.

ـ صحيح؟ يا إلهي.. ماذا يخبيء لنا القدر بعد في هذا البرنامج؟

ـ حسناً.. الكورس الغنائي هو التالي. ثم تمثيلية الهواة ثم أنا.. وبعدي الهواة مرة أخرى.

ـ لن أفوت دقيقة من البرنامج.. إذهبي الآن وأنهي عملك.

وفكرت جوانا إنها ستكون محظوظة لو استطاعت ارتداء ثوبها في

ـ وكذلك أنت جوانا.. هل أحضرت ثوبك معك أم ستذهبين إلى منزلك؟

ـ ثوبي معي. فأنا سأساعد في تمثيلية الأولاد.. ولا أظن أنني سأرتديه قبل نهاية البرنامج.

ـ إذن لن تتمكني من بيع كتيبات البرنامج.

فتدخل برايان:

ـ أنا واثق أن سامنثا سيسعدها مساعدتك.. إنها تموت شوقاً لعرض نفسها في ثوب التنكر منذ أن وصلت.

فضحكت ايزابيل:

ـ أنا واثقة من هذا.

بحلول السابعة والنصف.. أصبحت التمثيلية جاهزة للعرض. ورافقت جوانا وأفريل الأولاد إلى المسرح في منتصف القاعة، وأطفأت الأنوار ما عدا نور المنتصف وزينة أشجار الميلاد.. وجلست جوانا قرب أحد المداخل، تراقب بوب ومونيكا.. وأحست بحركة خلفها وقال برايان من فوق كتفها:

ـ مساء الخير.. أظن أن ولدينا في هذه التمثيلية.

فنظرت من حولها لترى ما إذا كان قد سمعه أحد وقالت هامسة بغضب:

ـ إنهما ليسا «لنا».

ـ إنهما لنا بالطبع.

ـ هذا شيء يجب أن نناقشه، مع أشياء أخرى. مثل أمر دفع تكاليف مدرسة بوب...

ـ ليس الآن يا فتاتي العطية.. تعالي لنتحدث في أي وقت.. أهلاً وسهلاً بك.

الوقت المحدد. فابتسمت له وتركته.

كانت ايزابيل محقة، فالثوب بدا رائعاً عليها، وضعت قليلاً من الزينة على وجهها وعينيها، وحملت قيثارتها متوجهة إلى الطابق الأرضي.

لقد حضرت نفسها لتلعب ثلاثة قطع موسيقية من موسيقى القرن الثامن عشر.. فكانت معزوفات صغيرة شجية. أسرت لب المستمعين بشكل ظاهر. ولتنهي وصلتها لعبت لحناً راقصاً سريعاً جعل جميع الحضور يصفقون مع النغم....

ثم وقفت لتحني رأسها شاكرة، وبينما كان التصفيق والاستحسان يتصاعدان انسحبت من القاعة... ولكن برايان كان بانتظارها. فوضع يداه على ذراعيها.

- أظن أنك كنت ستهربي.. لماذا؟

- لقد استنفذت طاقتي، ولم أتحمل أن يطلبوا مني المزيد.

فضحك:

- حسناً.. سأقبل بهذا القدر.. تعالي لنتكلم معاً.

- نتكلم؟

- أنت قلت أنك تريدين التكلم معي. وإذا كنت لست راغبة في أن تغطسي في بحر من التهنئات والأعجاب، فتعالي لنجلس في مكان هادىء ونتكلم. إذهبي وضعي آلتك في كيسها، وانضمي إلي في المكتبة.

وحدقت به، ثم دون كلمة، أطاعته، وعندما وصلت إلى الغرفة، وجدت أن دموعها قد انهمرت دون أن تحس بها، فمسحتها بسرعة، فمن الغباء البكاء الليلة، بعد أن كان لأول مرة لطيفاً معها، ولم تشعر بالخوف منه.

وانضمت إليه بعد خمسة عشر دقيقة. وبعد أن كبحت بجهد نفس الدموع وأضافت رشة من البودرة التي قدمتها سامثا للمشاركين في الحفلة. وكانت المكتبة في ظلام ما عدا الضوء البرتقالي المنبعث من النار. وكان برايان يقف في العتمة قرب الطاولة.. ولدهشتها، لاحظت إنه ملأ صينية بالطعام.

ونظر إليها للحظة وهي واقفة في الباب. ثم قال وكأنه نسي

- آه.. أجل.. جوانا.. تفضلي بالدخول.. لا بد أنك جائعة.

- ليس كثيراً.

- لندع الطعام قليلاً إذاً، فهو بارد وبحاجة للتسخين.

فردت بصوت منخفض:

- أتظن أنني بحاجة للتسخين أيضاً؟

- فعلاً. تقدمي واجلسي قرب النار. واخبريني ماذا تريدي أن تقولي.

وتقدمت لتغرق في سجادة سميكة على الأرض قرب المدفأة. ثم قالت بصراحة:

- لا أظن أنني أستطيع.. ليس هكذا، فلدي جدل كبير معك أحفظه في رأسي، ولكن لا يبدو أنني أستطيع إخراج ذلك الجدل من رأسي عندما أتحدث إليك.

- لن تخرج لوحدها!

- لماذا؟

- لأنني أقول وأنا أتحدث إليك نفس ما تفكرين به في رأسك.

وفكرت بالأمر قليلاً:

- أجل.. أعتقد أن هذه هي المشكلة.

- حسناً هذا صدق كاف.. ما عدا أنني لا أذكر إنني تجادلت معك.

- هذا لأنني أخاف منك.

ـ ماذا؟

ـ حسناً، ربما أخاف مما قد تفعله.. للطفلين.

ـ يا فتاتي العزيزة.. قد أكون ساكناً في قصر دراكولا.. ولكنني لم أصل بعد إلى مرحلة الأستيلاء على الأطفال.

ـ لا.. إنني أعني فقط طفليّ.. ظننت إنك ستجبرني على التخلي عنهما.

ـ ولِمَ أفعل هذا يا فتاتي العزيزة؟ أتريدين التخلص منهما والأنطلاق حرة في حياتك كما يحاول ريتشارد أن يفعل؟

ـ اوه.. لا.. لا.. بالطبع لا.. أقصى سعادتي أن يبقيا معي إلى الأبد.

ـ آه.. الآن هنا تكمن الصعوبة.

ـ أتعني أنك مصمم على إرسال بوب إلى المدرسة الداخلية.

ـ حسناً، لا أظن إنه سيتناسب بعد الآن مع صفوف الآنسة فورستر؟ إنه أوعى من أن يتوافق مع أولاد أصغر منه وأقل ذكاء بكثير.. وحيث ينجح هو ستتبعه الفتاة.. كما رأيت بنفسي.

ـ مونيكا ستكون على ما يرام هنا. سأحضر لها كلباً هدية الميلاد.

ـ وهل ستفعلين هذا؟ أم إنه لم يبدر في ذهنك إستشارتي؟

ـ لقد فكرت في هذا، ولكنني قررت أن لا شأن لك في الأمر. فأنت لست عضواً في العائلة.. فأنت تمثل دور «مأمور تنفيذ» لمصلحة ريتشارد إلى أن يعود إلى منزله.

فصاح بها بغضب:

ـ كيف تجرؤين على التحدث إلي بهذا الكلام!

فردت عليه بإصرار وبصوت مرتفع

ـ أنت لا شأن لك بالعائلة، ولن أقبل بك. كل ما أريده أن تتركني والأولاد لشأننا. كل هذا الإملاء، وإرسال بوب إلى المدرسة ودفع تكاليفه بمالك اللعين.. ومنع الولدين من فعل بعض الأشياء.. هذا كله ليس من شأنك!

وبشهقة توقفت عن الكلام عند تحرك «متوحش» منه.. وحاولت النهوض، فمنعها.. وللحظة ظنت إنه سيضربها، ولكنها بخوف أدركت أن نواياه مختلفة تماماً. وحاولت الهرب منه، ولكنه أمسكها بكلتا يديه.

في العتمة، حيث هما، لم تستطع ملاحظة تعبيرات وجهه.. ولا حتى ملامحه.. وبجنون.. كان غريباً، يتنفس بصعوبة في العتمة وكأنه السارق الليلي. وأمسك بها بقوة إليه.. وخدش قماش معطفه الخشن بشرتها الباردة. وحدقت به بعينين متسعتين، محاولة إيجاد شيء مألوف أو مطمئن في طيفه المنحني عليها. وأخذت جوانا ترتجف وهو يعانقها، ولكن الرجفة هذه المرة كانت تنبع من عظامها، وأغمضت عينيها باستسلام...

ماذا تفعل هنا في العتمة مع رجل لا يرغب بها، يريد، إذا كان يريد شيئاً، أن يمرر لحظة عابرة؟

وأقفلت أصابعها على رقبته من الخلف، وبادلته القبلة بالقبلة.

وتوقفت أنفاسها، نصف من العجب، ونصف من الأحتجاج. ولاحظ هذا، فرفع رأسه ونظر إليها وكأنه يستطيع رؤيتها في ذلك الظلام. وقال بصوت أجش:

ـ هذا كان يجب أن يحصل قبل أسابيع.

وارتفعت يدا جوانا إلى وجهها، وقالت ببؤس:

ـ ولكنه لا يسوي أي شيء.

ـ هناك طرق أفضل لحل الخلافات بالكلام الذي تستسيغينه. الأمر بسيط. الطفلان بحاجة للأمان والأستقرار...

فقاطعته بسرعة

ـ والحب.

فتنهد

ـ حسن جداً.. والحب الذي تعطينه أنت لهما. ولكنهم بحاجة للأستقرار، وأنت، كما سمعت عدة إتهامات، مجنونة، لذلك فهما بحاجة إلى شخص آخر يوفر لهما الأستقرار.. وأنا شخص لا يمكن زحزحته... فتزوجيني.. وعندها سيحصلان على كل ما يحتاجان إليه.

فشهقت:

ـ كيف تجرؤ؟

وبدا لها الأمر كالأهانة.. ولكن مع الصوت الناعم الهادىء لم تستطع معرفة ما إذا كان يداعبها للأزعاج أم لا.

ـ اوه.. ولكنني أجرؤ.. أجرؤ يا حلوتي السخيفة جوانا. أجرؤ كثيراً..

وجذبها إليه ثانية، وعانقها بقوة.. ثم.. وعلى حين غرة.. وبشكل مستحيل الحدوث فتح الباب لتظهر ايزابيل بدفورد. وهي تقول:

ـ برايان.. الأولاد يصدرون ضجة فظيعة. ويبدو أن جوانا اختفت ومونيكا تصيح بهستيرية...

وصمتت.. بعد أن تعودت عيناها على العتمة.. ولاحظت وجود فتاة بين ذراعي مضيفها، وقد احتواها بينهما. فقالت بخجل:

ـ سامحني..

ولم ينظر برايان إليها فتابعت:

ـ سأصعد إلى فوق لأفتش عنها.. لا بد أن تكون في مكان ما. أنا آسفة يا برايان.. ويا...

وكانت تغلق الباب خلفها عندما أضافت:

ـ ... سامحنا.

وأجفلت جوانا، وأحس بها، فقبلها بسرعة. وانسلت من بين ذراعيه واختبأت وراء المقعد. ركبتاها تصطكان، ولم يعترض ولم يلحق بها. واعتقدت أن ألسنة النار تلامس وجهها فوضعت يديها على خديها. وتمتمت وهي تحتقر نفسها:

ـ اوه.. يا إلهي.. اوه.. لا!

ـ جوانا..

ـ لا.. أرجوك. أظن إننا أنهينا كل ما نريد قوله لبعضنا.

ـ ولكنني لم أنته بعد.

فقالت بحزم:

ـ ولكنني أنا، انتهيت. كم تظن أن مالك يسمح لك بالتمادي يا برايان؟

وأحست بالطيف أمامها يرتجف:

ـ لن يصل إليك، كما هو واضح. لم أكن أدرك أن المال القذر له هذه الأهمية في حياتك.. لست مدينة لي.. مهما صرفت على الولدين فلا شأن لك به... ولا تحاولي أبداً رد المال لي بطريقتك.

أين ذهبت تلك الضحكة المشتركة، ذلك التفاهم الأفضل الذي هنأت نفسها عليهما منذ قليل؟

وتنفست باضطراب، وسيطرت على الدمع الذي هدد بالتدفق.. واكتشفت إنها تريد أن... تغضب.. أن تصرخ... وأن تبكي. تريد

قبل أي شيء أن تهينه بعمق وإيلام كما أهانها. . .

فردت عليه بعنف:

ـ كم أنا سعيدة لسماع هذا.

وخرجت من الغرفة. .

الفصل السابع

كان الولدان، عندما وجدتهما، في المطبخ وقد طيب آرثر خاطرهما. مع أن مونيكا كانت تبكي، ولكن في نظر جوانا كان ذلك نتيجة الأفراط في التأثر أكثر منه خوفها من هجران عمتها لها. ونظرت جوانا إلى ساعة المطبخ، لتجد بذهول، إنها قد تجاوزت العاشرة. فقالت بحزم:

ـ حان وقت الذهاب إلى المنزل، فأنا مرهقة حتى ولو لم تكونا. .

فرد عليها بوب

ـ أستطيع البقاء صاحياً طوال الليل.

ـ إنه أمل خائب. لأنك لن تحقق هذا.

وأخذت المنديل من يد آرثر، ومسحت وجه مونيكا

ـ علينا حقاً الذهاب يا آرثر

ـ هل أنت بخير؟ لقد كان لونك شاحباً منذ أيام حسب ما قالته ايزابيل. .

فضحكت:

ـ أنت لا تعرف المغازلة يا آرثر. . أليس كذلك؟ حقاً إنني بخير. . ولكنني تعبة. . وأتمنى لو أنني لست مضطرة لقيادة السيارة.

وبدا على آرثر القلق:

www.rewity.com

ـ إذا كان بإمكانك الانتظار.. سأوصلك، إذ يجب أن أبقى لأقدم العشاء.. وبعدها...

فهزت رأسها:

ـ اوه.. هراء.. لطف منك أن تعرض علي هذا، ولكن الأمر سخيف. ففي هذه الحالة يكون عليك إما أن تأخذ سيارة البريغادير وتتركها قرب منزلي وتعود سيراً، وإما أن تأخذ سيارتك، وعلي أن أعود لآخذ السيارة الكبيرة. وهذا أمر غير عملي.. ولن أكون كسولة.

ـ ولكنك تبدين تعبة ولا أظن أن عليك قيادة السيارة.. إسمعي.. بإمكان سامنثا إيصالك، ثم آخذ السيارة الكبيرة لأتركها عندك وأكمل طريقي سيراً. فلا أريد أن أبقى هنا كثيراً. وسيكون عذر جيد لي للهرب.. سأبلغ سامنثا.

ـ ولكن قد لا ترغب في الذهاب الآن. ولا يمكن أن تطلب منها هذا.

ـ أستطيع أمرها بهذا، فأنا رب عملها. مع إنها تحاول نسيان ذلك عندما يناسبها.

ـ ولكن هذا لا ينطبق على إيصال الناس بالسيارة.. إنها ساقية، وليست سائقاً.

فرد عليها بصوت مرتفع:

ـ سوف تفعل ما أقول لها. أحضري قيثارتك والبسي الولدين معطفيهما. وإذا كنت تريدين إيصال أي شيء إلى المنزل ضعيه في السيارة الكبيرة أو أكتبي لائحة به.

وذهب يبحث عن سامنثا. وبدأت جوانا تزرر معطف مونيكا. وارتدى بوب معطفه بنفسه، بينما دخلت سامنثا المطبخ، وبدت مسرورة وهي تبتسم:

ـ قال لي آرثر أنك تعبة.. ولست مندهشة لتعبك. هل أنتم جاهزون؟ سأوصلك بكل سرور، ولكن لن أتأخر.

وبدا عليها وكأنها مؤمنة أن وجودها ضروري جداً للأحتفال.

ـ أنت طيبة.. لو تضعين الأولاد في السيارة.. سأصعد إلى الغرفة لأجلب قيثارتي.

وخرجت إلى برودة الليل، تعد نفسها بأن لا تعود إلى منزل العزبة أبداً.. ولم يكن وعداً مأساوياً، ولا مريحاً. فقد أحست وكأنها جردت من كل دفاعاتها على يد عدو أفضل تسليحاً منها حتى قبل أن تكتشف الأرض التي تقاتل عليها. ولكن مهما كان ارتباكها فلم يكن هناك أدنى شك عمن كسب المعركة، وأكملت طريقها إلى منزلها بصمت مؤلم.

عندما وصلوا.. ساعدت سامنثا الأولاد بالنزول من السيارة فركضا على الفور نحو الباب الخلفي الذي لم يكن يقفل عادة. وقالت جوانا وقد عادت إلى رشدها:

ـ شكراً لك سامنثا.

وحملت القيثارة، ثم فتحت الباب لتخرج من السيارة، ولكن سامنثا أوقفتها.

ـ لا.. انتظري لحظة، أنا سعيدة لحصولي على هذه الفرصة لأكلمك.. لن أبقى.. ولكن أحب أن.. حسناً.. لست أدري كيف أصيغ الأمر...

ـ تصيغين ماذا؟ أنظري سامنثا.. أنا تعبة، تعبة جداً. ولأكون صادقة، أنا متوترة الأعصاب. وحتى الآن حاولت كبت أعصابي مع مونيكا وبوب، ولكن صبري يكاد ينفذ.. وأكره أن أفقد أعصابي معك وأنت لطيفة جداً معي لايصالي إلى المنزل.

وبدا على سامنثا التألم:

ـ لا أريد أن أغضبك.. أريد فقط.. أن.. ألمح...

ـ أنا أبعد عن أخذ أي تلميح الآن. وإذا كان لديك ما تريدين قوله فقوليه بحق الله.. ولننتهي منه.

ـ أريد أن أقول أنني مسافرة إلى مونتريال بعد الميلاد.

ـ اوه.. تهنئتي لك. وأنا سعيدة لأجلك إذا كان هذا ما تريدينه. ولكن ألم يكن من الممكن لهذا البهجة أن تنتظر حتى أكون صاحية كفاية؟

وتجاهلت سامنثا ما قالته وتابعت بسرعة:

ـ مع برايان..

وغاصت في المقعد وكأنها تختبيء من شيء منتظرة ماذا ستفعل جوانا، التي قالت ببطء، وقد وجدت نفسها غير مصدقة:

ـ برايان؟ أتعنين برايان تورنيول؟

وهزت سامنثا رأسها، وأحست جوانا بأن معدتها قد تقلصت، فجأة، تاركة حفرة باردة مكانها. فقالت بهشاشة:

ـ تهنئتي لك.

ـ نحن لم نخبر أحداً في القرية.. سأذهب فجأة.

ـ فكرة جيدة.

ـ بالطبع لن أعود.. فقد قررنا هذا.. وسأتابع مهنتي هناك وسنبقى معاً.

ـ سيكون هذا رائعاً. ولست أرى لماذا تخصيني بهذه المعلومات؟ أتريدينني أن أستلم وأعيد لك بريدك أو شيء ما؟ ألن يكون آرثر أهل للثقة أكثر في هذه الحالة؟

ووضعت سامنثا يدها الناعمة على ذراع جوانا:

ـ الأمر.. أنني.. فقط.. لا أستطيع أن أقول له.. سيتألم كثيراً. فاعتقدت أنك ربما.. تخبرينه بنفسك، بعد أن أذهب. وسوف يتغلب على هذا الهوس حولي.

وأحست جوانا بالغضب ففتحت الباب وقالت بحزم:

ـ لن أفعل هذا. فهو ليس من شأني. ولا تقلقي نفسك في أن يموت آرثر من تحطيم قلبه عليك. فما من شك أنه سيعيش بعد هذه الضربة.

وتركتها لتدخل إلى المنزل. وما أن أصبحت هناك حتى اكتشفت إنها ترتجف من الغضب، وانفجرت عاصفة من الدموع كانت تكبحها منذ وقت طويل. ووضعت رأسها بين يديها على طاولة المطبخ، وتمتعت ببكاء لم تعرف مثله منذ أن كانت في السادسة عشرة من عمرها. ثم وقفت لترش قليلاً من الماء البارد على وجهها وعينيها لتنعشهما ثم شربت قليلاً من الماء.

في الخارج سمعت سيارة تقف. لا بد أن آرثر قد وصل ومعه السيارة الأخرى. وتمنت جوانا أن لا يرغب آرثر في الدخول، كل ما عليه أن يفعل هو أن يرمي المفاتيح من ثقب الرسائل في الباب.. ولكنها سمعت صوت وقع أقدامه ثم صوته يقول وهو يخربش على الباب:

ـ هل لي أن أدخل؟

وفتحت غصباً عنها. وقالت بلهجة أقل من مرحبة:

ـ هس.!

ـ هل نام الأولاد؟

ـ أتمنى هذا، فهما متوترين من الإثارة. وأتمنى أن لا يمرضا في الغد.

ـ إنهما قويان. وإذا سألتني سأقول لك أن بوب سيكون في أوج انطلاقه في الغد وربما سيعرض على معجبيه توقيع «الأوتوغراف» لهم.

وقالت متوسلة:

ـ إياك أن تقترح مثل هذا الشيء. فبدون شك سيعتقد إنها فكرة جيدة.

ـ إنه ولد «عفريت». ولكنني لا أظن أن له فرصة مع افريل فورستر ألا تعتقدين هذا؟

ـ لن يستمر الأمر أكثر من بضعة أيام.. سيذهب إلى المدرسة الداخلية بعد رأس السنة.

ـ صحيح؟ هذا قرار مفاجيء. لماذا قررت هذا؟

ـ لم أفعل. وليس مفاجئاً.. إنها رغبة ريتشارد.

ـ آه.. أذكر. لقد كنت قلقة حول نوايا ريتشارد منذ بداية السنة. إنها فكرة متعقلة.. وبوجود واحد منهما فقط في المنزل سيتاح لك الوقت لشؤونك الخاصة. أعتقد أن مونيكا لن تذهب؟

ـ ليس لمدرسة صبيان؟

ـ وأنت لا تريدينها أن تذهب على كل الأحوال. ولكنك حمقاء عاطفية يا جوانا.

وأحنت رأسها فوق كتفه:

ـ يمكنك قول هذا، ولكنني لا أستطيع منع نفسي. فلا تسخر مني يا آرثر.. لقد مر علي أكثر مما أتحمل اليوم. وقد انفجر بالبكاء.

وقلق آرثر، فرفع ذقنها ليتفرس في وجهها منكراً:

ـ يبدو لي أنك بكيت فعلاً.. ما الأمر؟

ـ كل شيء خاطيء.. وأنا صحبة مزعجة الآن.. فالأفضل أن تذهب. أين المفاتيح؟

وأعطاها المفاتيح.

ـ لا أحب أن أتركك هكذا. فأنت لست سوداوية الطباع عادة.

فهزت كتفيها:

ـ أنا تعبة.. وسأكون أفضل حالاً بعد نوم مريح.

ـ أنت بحاجة لأجازة. لقد عملت بجهد لمدة طويلة. لماذا لم يلاحظ أحد هذا؟

ـ هراء. هذا الأمر.. مؤقت.. من تأثير الخريف الكئيب.. بطريقة أو بأخرى.

فجلس إلى طاولة المطبخ وقال:

ـ بالتأكيد.. العزبة، وتورنيول وسامنثا.. والجميع. هل تعلمين أن سامنثا مسافرة؟

ـ إنها مضطرة للسفر آخر الأمر. فهي لن تقنع بأن تكون ساقية في مطعم قروي طوال حياتها.

ـ لا.. ظننت إنها قد تقنع بالبقاء. ولكنني كنت مخطئاً.

ـ أنا آسفة لهذا.

ـ آسفة؟ ولكنني لست بآسف.. لقد كنت مخطئاً، فهي فتاة ليست لطيفة بالمرة.

ـ لم أكن أعلم إنك تبحث عن اللطف.

فضحك وتعبير كوميدي على وجهه وفي صوته:

ـ ولا أنا. ولكنني عرفت هذا المساء، عندما كانت تقف لتضع الماكياج على المرآة، ولم تعط فرصة لأحد أن يقف معها.. إنها أنانية جداً. قد تبدو كطفلة.. ولكن لن يرتاح من سيعيش معها.

ودهشت جوانا لثقته الكاملة بكلامه، ولاحظ دهشتها، فأمسك بيديها وقال:

ـ أنا أثير ضجة لا لزوم لها حول الأمر.. أليس كذلك؟ مشكلتي أنني

لم أفعل مثل هذا من قبل.

ـ مثل ماذا؟

ـ مثل سؤال صديقة قديمة أن تتزوجني.

فحدقت به بذهول، فضحك.

ـ لا تبدين مجاملة كثيراً يا حبي.. لماذا أنت مصدومة هكذا؟

ـ لأنني.. فعلاً مصدومة.

فوقف وتقدم نحوها.. واحتواها بين ذراعيه بقوة:

ـ فكري بالأمر.. لدينا أشياء كثيرة مشتركة.. ونعرف بعضنا منذ زمن بعيد.. وأعلم أنك مهووسة بحب الطفلين. وتعلمين أنني حساس جداً.

وحررت جوانا نفسها بلطف:

ـ آه.. أجل. وهذا كل ما في الأمر؟ سامنثا الخائنة.. آرثر يا عزيزي.. أنت، ما هو معروف عموماً، بالمصاب بالصدمة. الأفضل أن تعود إلى منزلك وتنام.

وأعادها بين ذراعيه:

ـ كلام هراء.. إصغي إلي جوانا. لقد كنت غبياً فيما يتعلق بسامنثا، وأعترف بهذا. ولكنها لم تكن رديئة.. بل كانت جميلة ونوعاً ما عاجزة، وأردت أن أعتني بها.

ـ وماذا بعد؟

ـ عندما رأيتها الليلة، أدركت أنك مختلفة عنها. هذا غباء.. لقد فكرت بك كطفلة دائماً. ربما لأنك لم تزعجينا أنا وريتشارد أبداً عندما كنا صغار. كنت دائماً تشغلين نفسك بنفسك، وكنت مكتفية.

ـ شكراً لك!

ـ ولكنني لم أعد أؤمن بهذا.. فعندما رأيتك الليلة، وكنت شاحبة

جداً.. وايزابيل كانت محقة حول فستانك فهو يجعلك تبدين مختلفة.

ـ آرثر.. هل أنت تجبرني، وبجد، أن طلبك الغريب ليدي هو نتيجة ظهوري في فستان جميل؟

وبدا عليه الانزعاج:

ـ كنت أحاول أن أشرح لك.

ـ لست بحاجة لشرح أي شيء.. أفهمك جيداً.

ـ ولكنك لا تصدقيني.

ـ بلى.. أصدقك تماماً. أنت تريد زوجة تبدو مثل الحمامة وتتصرف مثل ساندريلا.. وهذا أمر رائع منك. ولكنني لست مرشحة. فأنا لست هكذا، كما تعرف جيداً.

لا بد أنني مجنونة.. هذا ما أردته منذ زمن طويل. ومررت يدها على عينيها إشارة للقلق. وقالت له:

ـ أرجوك أن تذهب يا آرثر. أنا آسفة، ولكنني لا أستطيع الزواج منك. مستحيل.. وغداً في ضوء النهار سترى بوضوح كما أرى أنا الآن.

ـ ولكن...

ـ أرجوك أن لا تصرّ. تصبح على خير.

فخرج دون أن ينبث بكلمة.

وارتمت جوانا على الجدار وأسندت خدها على زجاج النافذة لتبرده... إنه لن يعود أبداً.. ودهشت لأحساسها بأن الأمر مريح. وتفحصت مشاعرها.. وبدا لها أنها قد تعودت على الإخلاص لآرثر حتى أنها لم تلاحظ أن هذا الإخلاص قد بدأ يخبوا. مع إنه لم يتلاشى بالمرة. إنها تحبه، فهو صديق مألوف وكريم معها. ولكنه أثار غضبها بتردده وميوله الهوائية.. ونظرتها العملية إلى الحياة سوف تزعجه بالتأكيد.. ألم

تقل لها ايزابيل إنها ليست رومانسية؟ حسناً.. هذا صحيح. وآرثر أكثر من أي شخص تعرفه يريد زوجته أن تكون رومانسية.

هذا الإكتشاف محبط.. أنها لم تعد تحب آرثر.. وربما ليست قادرة على أن تحب أحداً. فقد انقلبت لتصبح دجاجة حاضنة ليس في رأسها أي تفكير يتجاوز حياة الولدين. المرة الوحيدة التي نسيت أن تكون فيها متحفظة ومتمدنة، كانت عندما تشاجرت مع برايان حولهما.

ووقفت فجأة وكأنها أحرقت نفسها وصاحت بصوت مرتفع من تلك الفكرة الرهيبة «لا..».

الأمر خيالي لا يطاق.. إنه سخيف. وإذا لم تكن تناسب آرثر، فإن برايان تورنيول يبعد كثيراً عن طبقتها.. على الأقل تملك العقل السليم لتفهم هذا.

في الأيام التي تلت، كان أمامها عمل كثير، أكثره في العزبة.. فقد نظمت حملة من الكشافة تحت توجيه الكاهن لتفكيك الزينة وإيصال شجر الميلاد إلى من كانت ستصل إليهم أصلاً. ولم تزر المنزل بنفسها.. فقد افترضت أن سامنثا ستعلن نفسها مسؤولة عن تنظيف المنزل عدا عن إزالة الأجسام الغريبة من قاعته. وكانت ايزابيل زائرة دائمة، وبدا إنها تفكر ببرايان تفكيراً يرفع من مكانته. وعندما شاهدت جوانا قيمة الشيك الذي دفعه لتمويل حفلة ايزابيل، لم تندهش. ووجد البريغادير بدفورد بشكل خاص روحاً طيبة في الرجل، وأخذ يقص على جوانا كم أن صحبته ممتازة، يوماً عندما وجد إنها لم تتجاوب معه. ولم يكن من عادتها وضع السدود أمامه عندما يرغب في الحديث، وتساءل في نفسه عما إذا كانت مريضة وبحاجة لأجازة طويلة في أسبوع الميلاد. وسيبحث الأمر مع ايزابيل. وعندما فعل أجابته زوجته:

ـ الأفضل أن تعطيها الإجازة قبل الميلاد لتتمكن من شراء ما تريد. وقل لها أن تترك الولدين معنا.

وكرر البريغادير هذا لجوانا قائلاً:

ـ إذهبي متى شئت. غداً أو بعد ظهر اليوم. سيوصلك آرثر إلى المدينة إنه ذاهب اليوم.

فردت بعجل أن الغد سيكون أفضل. وإنها تريد سحب بعض المال وعندما سيصل آرثر إلى المدينة اليوم سيكون المصرف قد أقفل.

وكان هناك ثلج خفيف فوق الأرض عندما سافرت جوانا إلى المدينة في الصباح التالي. وعلى الرغم من الريح المريرة، لم تكن الأرض قد تجمدت بعد.. السنة الماضية بنت جوانا للولدين رجل ثلج أمام المنزل، وكان أو تمثال مماثل بريانه، واليوم كانا يشعران بالشوق لتكرار الأمر. وبدئاً بالعمل فور وصولهما إلى المزرعة، وبدا عليهما السعادة وهما يجمعان الثلج... وإلى أن يذوب لن يزعجا ايزابيل.

وعندما عادت جوانا، كانت سيارتها ممتلئة، وحالة تفكيرها سعيدة أكثر. فقد صرفت كثيراً على شراء الهدايا دون تفكير، تحس أن المستقبل غير مؤكد وأن عليها التمتع بيومها. وكان هناك عامل تحد كبير ممزوج مع متعتها، وكانت تعرف هذا، ومن الجيد لها مع ذلك أن تكون مبتهجة ثانية مهما كانت الدوافع. ودخلت فناء المنزل وهي تغني.

وكان رجل الثلج الذي أقامه الولدان يذوب بالتدريج. ولكن لم يظهر لهما أثر، ولا لآل بدفورد.. ونادت جوانا، ولم يرد عليها أحد، فتنهدت وذهبت نحو المطبخ، لتجد رسالة من ايزابيل مثبتة إلى الباب تخبرها إنها ذهبت إلى اجتماع عاجل للجمعية الخيرية. ولم تذكر الرسالة الولدين. وبالتأكيد كانت ستقول لو إنها أخذتهما معهما. وربما وضعتهما تحت

رعاية زوجها لوحده. . فسارعت وقلبها يخفق نحو المكتب، وكان فارغاً أيضاً.

وكانت لا تزال تفكر عندما سمعت صوت السيارة الكبيرة في الباحة، فخرجت لتجد البريغادير لوحده وراء المقود، فقطعت الباحة نحوه قائلة:

ـ أين هما؟

ـ هما؟. . من؟ ماذا؟ لا تزعجيني الآن يا عزيزتي علي أن أتصل بالطبيب البيطري فإحدى الأبقار كسرت ساقها، مسكينة.

فصاحت جوانا بفزع:

ـ الطفلين. أين هما؟ ماذا حدث لهما؟

ـ لا بد إنهما في مكان ما. كيف لي أن أعرف أين؟ إسألي ايزابيل إنها في المنزل.

ـ إنها ليست في المنزل. . لقد خرجت.

ـ سيكونان معها إذن. . أو ما رأيك بقصر الأمير؟ لا بد إنهما ذهبا إلى هناك لرؤية آرثر.

ـ لا يمكن أن يفعلا هذا. فهما يعرفان إنهما لا يسمح لهما بقطع الطريق الرئيسية لوحدهما.

ـ حسناً. . يمكن أن يكونا قد أخذا الكلبين في نزهة، إلى التلال أو أي مكان آخر. .

ـ وربما إلى البحر. لم أفكر بهذا لأنني كنت أظن بوب قد خاف بما فيه الكفاية من زجر برايان له، ويمكن أن يكون ذهب إلى هناك ثانية نكاية بنا.

ـ سيكون بخير طالما الكلاب معهما. . إنهما كلبان عاقلان.

ـ ولكن مونيكا!

ـ اوه. . بالطبع. . إنها ليست متعقلة.

كانت كمن تتكلم مع الفراغ. وسارعت إلى طريق باحة الكنيسة. فهي تعرف الطريق التي قد يسلكها الولدين. وكانت الطريق زلقة بالعشب المبلل، والثلج المتبقي فوق المرج، يذوب ليشكل ممرات موحلة غير سوية، وسارعت جوانا فوق المرج، وكادت تفقد توازنها أكثر من مرة.

وبدأت تنادي بأعلى صوتها الرفيع. ولم تلق الرد، إذ لا يمكن لشخص يبعد خمسين متراً أن يسمع صوتها الرفيع. . وأخذت تركض نحو الشاطيء. . وعلى الفور تقريباً سمعت صوت الطفلين ونباح الكلبين. في البداية اعتقدت إنهم يلعبون، واجتاحتها موجة من الأرتياح، فتوقفت عن الركض.

ثم سمعت صوت بوب يرتفع، مليئاً بالذعر. أول تفكير لها إنه كان يغرق. فأخذت تركض مجدداً، وما أن خرجت من بين الأشجار حتى شاهدت الكلبين يدوران بجنون وبوب يقف على الصخور فصاحت.

ـ قف جامداً. . لا تتحرك. . أنا قادمة!

ولكنه عاد للصراخ. وكان الكلب الكبير يقفز إلى ومن الماء وكان الأمر لعبة كبيرة. كان الموج مرتفعاً يضرب على الصخور ثم يرتد بدوامة كبيرة، أدركت جوانا على الفور مدى الخطر على الولد الصغير.

ولوح بوب بيديه. .

ـ لا. . لا. . ! مونيكا وقعت في الماء! مونيكا. . مونيكا.

الفصل الثامن

تجمدت جوانا مكانها كالميتة. وللحظة رهيبة لم تصدقه. لم يكن هناك أثر للطفلة في الماء. وابتلعت ريقها وقد أحست بالبرد والصدمة. وكأن فيلماً سينمائياً لا دخل لها فيه يعرض أمام عينيها. ثم وجدت مونيكا.. شعرها طائف فوق الماء، والموج يجرفها في حفرة بين الصخور، فرمت المعطف عنها ثم تقدمت من المياه. وخاضت إلى المنتصف محاولة الوصول إليها.. لا بد أنها وقعت من تلك الصخرة المرتفعة التي يقف عليها بوب. ولم تكن تتحرك، أو يظهر عليها أنها واعية. وكان الماء يعلو فيغمرها من وقت إلى وقت. وصاح بوب:

ـ لقد غرقت! لقد غرقت!

فردت عليه جوانا من فوق كتفها:

ـ هراء.. إذهب واحضر برايان.. بسرعة.. أحضر برايان!

وطار راكضاً فوق الصخور، واثق الخطوة وكأنه الغزال. وفقدت توازنها فوقعت في الماء واضطرت للسباحة. ولكن الماء كانت قوية ولم تستطع التقدم نحو مونيكا، وحاولت التقرب منها عبر الصخور ولكن الطفلة كانت تبتعد كلما علا الموج.

لم يمر عليها أكثر من دقيقة ومع ذلك فقد أحست جوانا أنها تقاوم الماء

منذ ساعات، كل ضربة ذراع لها في الماء تبدو بطيئة ودون فائدة.. وأخيراً وصلت إليها. وأمسكت بوجهها الصغير الأبيض بين يديها. وأخذت تجرها فوق الماء، وتقدمت الصخور منها وأحست وهي تمسك بمونيكا أن الماء أخذ يجرفها هي أيضاً. وبيأس بدأت تقاوم. ولكن قوة الموج طغى على مقاومتها وضربتها الأمواج بالصخور مرات ومرات، ومع ذلك فقد قاومت بشكل ثابت كي تبقى وجه مونيكا خارج المياه.

وأخيراً سمعت أصواتاً عند الشاطيء فنظرت لترى بوب يلوح لها وبرايان يسارع فوق الصخور أيضاً.. وصاح بها:

ـ من هنا!

وكانت مرهقة تقريباً، وبالتأكيد لن تستطيع الإستجابة له.. ولاحظ هذا. وتمسك بطرف الصخور وانزلق إلى الماء ومد يده لها. وقال بسرعة:

ـ أعطني الطفلة. أعطني إياها.

وكان أبعد عن قوتها أن تستجيب، ولكن بعد محاولتين غير ناجحتين، إستطاعت أن تعلق ياقة فستان مونيكا في أصابعه الممدودة. فأخذ يشد الجسد الفاقد الوعي نحوه. واستطاع بكل جهد أن يشدها نحو اليابسة.

وما أن رأته جوانا سالماً مع الطفلة حتى أطلقت تنهيدة كبيرة.. وكانت أطرافها تؤلمها وكتفيها مخدشان من الصخور، وباردة برودة الموت، وبارتجاف تقدمت نحو الصخور مترنحة. ولكنها لم تستطع لتعبها أن تتسلقها، ومرة أخرى سمعت صراخ بوب. ولكن من مكان بعيد.. ولم يكن إحساس مزعج أن يحمل الماء جسدها.. فأغمضت عينيها.

كانت ممددة على الشاطيء وبونتي يلعق وجهها... ومن خلفه كان بوب راكعاً ينظر إليها بينما كان برايان يمسك بمونيكا وهي منحنية إلى

الأمام تتقياً. فتمتمت جوانا:

- اوه.. لا!

هذه المرة سيكون عنيفاً في غضبه، وهذه المرة له مطلق الحق.. وأدار لها رأسه:

- هل استيقظت.. كيف تشعرين؟

وبدا بدوره شاحباً وكأن الغثيان قد أصابه، فردت عليه محاولة أن تبدو مرحة:

- أشعر بالبلل.

- لست مندهشاً. ستكونين محظوظة إذا لم تصابي بالنزلة الصدرية

وقال لمونيكا:

- هل انتهيت من القيء.

فهزت رأسها، وقال لها:

- لن أسألك ماذا حدث، إركضي الآن أنت وبوب وساساعد جوانا على النهوض.

وتقدم من جوانا ووقف يحدق بها متجهماً:

- هناك دماء على وجهك وكذلك على ذراعيك.

- أنا بخير..

وحاولت الوقوف بجهد، فصرخت لألم في كتفها. فقال بشراسة:

- أنت مجنونة.. لماذا لم تأتي إلي.؟

- لقد أرسلت لك بوب.

- ورميت نفسك في الماء وانتهيت تصيحين لألامك.. أيتها الحمقاء الصغيرة. ألا تعلمين أن البحر هائج؟

- لم أفكر بهذا... أنا آسفة.

وبلع صيحة غضب عنيفة، وقال:

- هل تستطيعين السير؟

وأخذت يده التي مدها لها ووقفت متألمة على قدميها. وحملها بين ذراعيه دون أن يسألها شيئاً، وبدأ السير بسرعة نحو المنزل.

فقالت محتجة:

- لا.. أرجوك.. لا حاجة لك لأن تحملني. فعضلاتي متشنجة قليلاً فقط:

- تستحقين هذا.. ظننتك مُتي، عندما نظرت إلى الوراء ووجدتك قد اختفيت... يوم ما.. سأسلخك.

فضحكت، ثم سعلت.. وبعدها عطست:

- أنت لست مهذباً معي.

- لا أشعر بأنني مهذب.. بل أشعر..

- بالغضب؟

- أكثر من هذا. أكثر بكثير كثير..

ووصل بها منزله، فركل البهاب ليدخل المطبخ ويضعها قرب الموقد.. فأحست بنعمة الدفء، وقال لها:

- والآن ماذا؟ حمام ساخن وثياب جافة، ستضطري لأرتداء ثيابي.

- ولكن مونيكا..

- دعي مونيكا لي.. ساحممها بنفسي وأجد لها شيئاً يدفئها. إصعدي إلى فوق وابدأي حمامك.

- ولكن مونيكا يجب أن تتحمم أولاً.

- ساحممها هنا أمام الموقد. إلا إذا.. كنت تفضلين أن أصعد واحممك أنت أيضاً.

www.rewity.com

وسارعت لأطاعة ما طلبه منها.. ولقول الحقيقة كانت سعيدة بهذا فقد كان رأسها يؤلمها وأطرافها كذلك، وتفحصت جسدها في مرآة الحمام ووجدت كدمة قوية على رأسها كانت متأكدة أنها ستسبب اسوداد عينها. وعادت إلى الطابق السفلي لتجدهم يجلسون في المكتبة أمام نار الحطب ووعاء كبير من الشوكولا فوق النار، وصب لها برايان بعضاً من السائل المنشط وقال:

- تحسنت؟

- كثيراً.

ونظرت إليه من فوق حافة كوبها... حتى الآن وقد زال عنه تعبير القلق، بدا غير سعيد، بل بدا قلقاً حتى الموت. ودست قدميها تحت روبه الذي ترتديه، ولاحظ الحركة:

- أتشعرين بالبرد؟

- لا.. سأكون حارة جداً و«مشوية» عندما أنهي شرب الكاكاو. هل تبقى النار دائماً صالحة لشوي عجل؟

- عادة.. فأنا أجد كندا باردة وكئيبة. والنار تشعرني بالبهجة.. وسأكون سعيداً عندما أسافر.

- اوه.. وهل ستسافر إلى الخارج ثانية؟

- بعد الميلاد مباشرة، يجب أن أقضي عيد رأس السنة في الجزائر.

فاتسعت عيناها دهشة:

- ولكن ماذا عن سامنثا؟.. اوه.. أنا آسفة.. لم أقصد التطفل. هذا ليس من شأني. ولكنها ذكرت هذا لي.. أعني.. أنني لم أفكر..

واقتحم تدفق حججها، وقد بدا عليه السرور:

- ماذا عن سامنثا؟

- ظننت أنها مسافرة أيضاً.

- إنها مسافرة.. ولكن ليس إلى الجزائر.. وليس معي.. أؤكد لك.

- اوه.. ولكن..

- أهذا ما ظننته؟ إنني قد أهرب ما سامنثا؟ ولكن لماذا... بحق السماء؟.. آه.. فهمت هي قالت لك هذا. كم إنها إمرأة محتالة خبيثة!

وابتلعت جوانا ريقها وقالت بصوت ناعم:

- لقد كنتما صديقان مقربان.

- وهكذا صدقتها؟ كم أنت بريئة! لقد كانت مفيدة لي.. لقد ساعدتني كثيراً، بطريقة أو أخرى.

- وهل استغليتها؟

- هي التي استغلتني.. ألم تستغلي أحداً من قبل؟ أم لا.. أنا واثق أنك لم تفعلي...

فحاولت تغيير الموضوع!

- يجب أن يكونا الآن في الفراش.. سأرتدي ثيابي وآخذهما إلى المنزل.

- لن تفعلي هذا.

- ومن سيمنعني؟

فوقف:

- أنا.. فلدينا حديث لم ينته بعد، وأريد إعادة فتحه. وهذا ظننت إنهما بحاجة للراحة فسأضعهما في فراشي وأغطيهما ببطانيتي الكهربائية. ولكن لن تذهبي إلى المنزل قبل أن أسمح لك. فحدقت جوانا به.. فتابع عابساً:

- فهمت؟

www.rewity.com

ـ آه.. أجل. على الأقل أعرف ماذا ستفعل ولكنني لا أعرف لماذا. لماذا لا نعود إلى المنزل؟

فصرّ على أسنانه:

ـ لأنني أريد التحدث إليك.

وظنت، بما إنه سيغادر البلاد، إنه يريد تسوية وضع بوب في المدرسة الداخلية، فقالت:

ـ اوه.. حول بوب بالطبع.

فرفع عيناه إلى السماء:

ـ لا.. ليس حول بوب، ولا مونيكا، ولا المنزل أو الحديقة أو القرية أو أي شيء آخر. بل عنك أنت، إنتظري هنا.

وفعلت.. وعاد إليها بعد عشر دقائق ليجدها مكورة في مقعدها ويداها مخبئة في أكمام الروب، فسألها باهتمام:

ـ هل تشعرين بالبرد؟

وأضائت بسمة عينيها بسرعة.

ـ هل هذا ما أردت التحدث إلي به؟ لا.. شكراً. لست بردانة أكثر مما أستحق.

فتنهد.

ـ لا تحاولي تمثيل دور الشهيدة. ليست غلطتك أن تقع مونيكا في البحر.

ـ كيف تقول هذا؟

ـ لقد حذرتهما.. كلاهما. ووضعت مخافة الله في قلوبهما.. وأنت لم توافقي كما أذكر.. واعتقدت أنك قد قلت لهما بما يكفي أن يبتعدا عن البحر.

ـ هذا صحيح.

ـ إذن لقد قمنا بما في وسعنا دون أن نضع وتداً في الأرض لنربط هذين الوحشين له. وهذا شيء يجب أن يتعلماه بالخبرة، إذا كان لا يمكن أن يتعلماه بالثقة، مثل عمتهما.

ـ أنا؟

فضحك وقال ممازحاً:

ـ أنت.. أنت لا تأخذين شيئاً بالثقة، ألست هكذا؟ أنت شكاكة مرتابة وكأنك القطة البرية.

ـ لست أرى أن لك الحق في الحديث معي هكذا.

ـ وأنا.. لست أرى أن لديك طريقة لمنعي.. وأنت يجب أن تتعلمي أي شيء بالطريقة الصعبة. ألست هكذا؟ آه.. جوانا جوانا! يا قليلة التفكير، يا سيئة الطباع يا حمقاء محبوبة. كم سيستغرقك من وقت لتعرفي إنك لا تريدين آرثر؟ بل تريدينني أنا.

ـ لا.. لست أريدك.. لا أستطيع.

ـ ليس بالطبع بعد أعوام لا يعرف سوى الله عددها من الإخلاص لآرثر؟ لا تكوني حمقاء! بالطبع تستطيعي.

ـ ولكنني لا أعرفك سوى منذ أسابيع. ومعظم ذلك الوقت أمضيناه وأنت تصرخ علي وتتأمر علي.

ـ ما كان يجب أن تكوني حمقاء. وماذا تتوقعين أن أفعل، وأنت تسكبين قلبك الذائب على قدمي آرثر؟

ـ لقد عرفته طوال حياتي.. إنه جزء من حياتي.. أما أنت.. لا يمكن أن أقع في حبك خلال أسابيع.

ـ بل يمكن في لحظات.. لقد حدث هذا لي.

www.rewity.com

ـ صحيح؟

ـ بالطبع. لقد كانت تجربة جديدة لي. وكنت فخوراً بنفسي.

وضحك بخشونة ثم تابع:

ـ إلى أن وجدت إنك تعتبرين نفسك مخطوبة. فقد تحدثت معي فقط عندما لم تعودي تستطيعي تجنبي. وكان هذا محبطاً لعزيمتي.

ـ لذا أنت مسافر؟

ـ كما يفعل كل المرفوضين.

ـ لم الاحظ إنك مرفوض.

ـ لا.. ولكن سأتركك لتتغلبي على عاطفتك إلى أن أعود، وسأفعل شيئاً بالأمر عندها.

ـ أو إنك ستُرفض ثانية.

وساد صمت صغير.

ـ صحيح.. لديك بعض الحق هنا. عزيزتي جوانا.. لم أكن مهتماً كثيراً بك أو لطيفاً معك. وهذا غير عادل لأنك لطيفة ورقيقة. وعذري الوحيد أنني غرت من كل الناس من حولك.. آل بدفورد والطفلين، وحتى كل الأطفال. كانوا جميعاً كالجدران التي لم أستطع تجاوزها.. لقد عرفتهم طوال حياتك وأنت تحبينهم، ولا مكان عندك لأي شخص جديد، ولذا أصبحت شريراً. وهذه عادة سيئة عندما لا أحصل على ما أريد.

ـ هذا أمر طفولي.

وأمسك بيدها، وطبع قبلة عليها، وقال:

ـ كثير الطفولة. لذا بما أنك طيبة مع الأطفال، فبإمكانك التعامل معي أفضل من معظم النساء، ألا تظنين هذا؟

وسحبت يدها وهي ترتجف.

ـ ولكنك لا تظن أنني طيبة مع الأطفال. وكنت مغالياً بهذا الموضوع.

ـ مجرد حسد.. فلي طبع سيء جداً.

ـ ولسان شرير.

ـ أعترف بهذا.

ـ كما أن لك هواية لا تحتمل بالقفز إلى إستنتاجات خاطئة. كذلك تتحدث بكثرة ولا تترك أحداً يأخذ دوراً في الكلام.

ـ ولكنني لم الاحظ أنك تحاولين أخذ دورك في الكلام أنت عادة تتهربين عندما أحاول الكلام.

ـ كما إنك لا تعرف ماذا يجري تحت أنفك. فلقد طلبني آرثر للزواج منذ أسبوع.

ـ آه.. فهمت.

وتابعت بلطف:

ـ إنه جزء من حياتي منذ فترة طويلة، ومكانه ثابت في ذهني كالرجل الوحيد الذي قد أحب.. واكتشفت فجأة أنني لم أعد أحبه.

ـ وهل تحبين الأزدواجية؟

ـ لا يمكن أن أقول هذا.

ـ لماذا إذن رفضتيه؟

ـ لقد أحببته.. ولكن بطريقة خاطئة.

ـ وما هي؟

فضحكت:

ـ براين تورنيول.. أنت رجل شرير وخبيث.. أعتقد أنني لم أحبه بالطريقة التي أحببتك بها.

www.rewity.com

رده لم يكن كلاماً.. بل كان رداً مطولاً ومرطباً، وبعد وقت لاحق. عندما كانت تجلس بقربه على السجادة، وأصابعها ملتفة على أصابعه، ورأسها على كتفه، أخذ يملس شعرها برقة عن وجهها ويتمتم:

ـ وهل تتزوجيني بعد كل هذا؟

فأدارت رأسها لتنظر إلى عينيه.. وكان يبتسم. فوجدت أنها تعرف وجهه وكأنه وجهها.. القساوة، الحزن، القلق، السخرية. والحنان الذي كان جديداً عليها ويقطع أنفاسها. فتنهدت بسعادة وردت عليه:

ـ أجل.. عندما تطلب هذا مني.

WWW.REWITY.COM
مـر مـوريـة